

الدكتور احمد الشرباصي

بـلاغـة الزمخشـري

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

***

جار الله محمود بن عمر الزمخشري علم من اعلام هـذه الامة في اللغة والادب والبلاغة والنحو والتفسير ، وقد كان ميلاده في قرية « زمخشر » مـن قرى « خوارزم » سنة سبع وستين واربعمائة ، ونشأ نشأة طيبـة ، حيث شغله طلب العلم والتأليف فيه عـن متاع الحياة وعن اتخاذ زوجة له ، وهو القائل :

سهري لتنقيح اللعوم ألـذ لـي ... من وصل غانيـة وطيب عناق
وتمايلي طربا لحل عويصـة ... أشهى واحلى مـن مدامة ساق

واحتمل الزمخشري الكثير فـي حياتـه ، وحينما ضاقت به دنياه رحل الى جوار بيت الله ، وقال في ذلك :

ساروح بين وفود مكـة وافـدا ... حتى اذا صدروا فما انـا صادر
بفناء بيت اللـه اضرب قبتـي ... حتى يحل بـي الفريح القابـر
القي العصا بين الحطيم وزمـزم ... لا يطبينـي اخـوة وعشائـر
ساقيم ثم ، وثم تـدفن اعظمي ... ولسوف يعبثني هنـاك الحاشر

ولكن الاقدار لم ترد ما اراد الزمخشري فمات فـي قرية « جرجانية » من قرى خوارزم سنـة ثمان وثلاثين وخمسمائة .

والزمخشري كما يقول ياقوت في معجم الادباء « كان اماما في التفسير والنحو واللغة والادب ، واسع العلم ، كبير الفضل ، متقنا في علوم شتى » ، وكان يدرك قيمـة نفسه ويفاخر بها حتى قال :

ألم تـر انـي حيثما كنت كعبـة ... يحفـون بـي كالطائفين طوائفـا
فشرقيهم يهوى الى النـور قابسا ... وغربيهم يسعى الى البحر غارفا

وكتب الزمخشري شاهد له واي شاهد على سمو مكانته العلمية وتعدد الميادين التي كتب فيها ، فله فـي غريب الحديث كتابه الجليل « الفائق » ، وله في الادب كتابه « ربيع الابرار وفصوص الاخبار » ، وله في النثر الفني كتابه « مقامات الزمخشري » وكتابـه « اطـواق الذهب » ، وله في النحو كتابه « المفصل » الذي جمع فيه اصول علم النحو ، وله في اللغـة كتابـه « اسـاس البلاغة » الذي سلك فيه طريقا الى تربية الملكة اللغويـة الفنية ، وله فـي التاريخ والتراجم كتابـه « خصائص العشرة الكرام البررة » .

ولكن اهم كتب الزمخشري فيما نرى هـو كتابه « الكشاف » الذي فسر به القرآن الكريم ، وذلك لانـه يضم ملامح كثيرة من ثقافة الزمخشري المتعددة العناصر ، وفيه تظهر قدرة الزمخشري العلمية في التفسير والنحو والبلاغة واللغة وغيرها ، وقد يدلنا على جوانب من مكانة هذا الكتاب ما وضعه الباحثون مـن دراسات حولـه ، كالاستاذ مصطفى الجويني صاحب كتاب «منهج الزمخشري في تفسير القرآن » وكالدكتور احمد الحوفي صاحـب كتاب « الزمخشري » وكالدكتور درويش الجندي صاحب كتاب « النظم القرآني في كشاف الزمخشري » .

وكذلك شغل الكشاف كثيريـن مـن السابقين ، فعكفوا عليه شرحا وتعليقا ، ونقدا او تأييدا ، ومنهـم شرف الدين الطيبي المتوفي سنة ٧٤٣ وهو الـذي كتب حاشية على الكشاف في ستة مجلدات ، وبرهان الدين حيدر بن محمد الهروي الذي كتب حاشية على حاشية سعد الدين التفتازاني على الكشاف ، وكتب عمر بن عبد الرحمن القزويني حاشية علـى الكشـاف ، وكتب ابـن المنير تعليقا عليه ، وكذلك عمر بن محمد السكوني ، وغير هؤلاء كثير .

ويعنينا هنا بلاغة الزمخشري في كشافه ، لانه عني عناية كبيرة بنظرية « النظم » التي كان لها اوسع الاثر في الدراسات البلاغية ، حيث شغلت امثال القاضي عبد الجبار وعلي بن عيسى الرماني وابي بكر الباقلاني وعبـد القاهر الجرجاني وسواهم ، ولقدعرف الخطـابي « النظم » فذكر ان الكلام يعتمد على ثلاثة اشياء هي : لفظ حامـل ، ومعنى قائم به ، ورباط لهما ناظم .

والزمخشري يرى ان النظم يعني بيـان الروابط والعلاقات بين الجمل ، مما يجعل الكلام يدعـو بعضه بعضا ، ويأخذ بعضه بحجزة بعض ، واذا كان علم النحو يبين لنا وجوه الاعراب ، فان « علم النظم » يبحث عما وراء هذه الصناعة النحوية ، ويكشف لنا الوان المعاني التي وراءها ، ويبرز الاسرار والنكت فـي الاسلوب ،

ويبين الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التراكيب، ويربط هذه الخصوصيات بالسياق والفرض العام من الكلام ، وللزمخشري في هذا المجال جولاته وصولاته ، حيث تناول النظم البياني في كتاب الله تعالى بالتحليل والتفسير ، فأبان ما ينطوي عليه هذا الاسلوب المعجز من شدة الروابط وقوة العلاقات .

وقد هيأ الله تعالى في عصرنا لهذا البحث الجليل عالما شابا وباحثا موفقا هو الدكتور محمد محمد حسنين أبو موسى ، عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية حرسها الله معقلا للغة القرآن وادب العرب ، وهي احدى كليات جامعة الازهر ، فأعد بحثا لرسالة الدكتوراه من هذه الكلية ، جعل عنوانه : « البحث البلاغي في تفسير الكشاف واثره في الدراسات البلاغية » ، واذا كان هناك من سبقه بالتعرض لهذا الموضوع من جانب او جوانب ، فانه – فيما نعلم – لم يكن مسبوقا ببحث هذا الموضوع بحثا واسعا يلم اطرافه ويجمع عناصره .

وقد نوقشت رسالة الدكتور ابي موسى في مدرج العقاد بكلية اللغة العربية ، مساء الخميس ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٧٠ ، وكانت لجنة المناقشة مكونة من الدكتور كامل الخولي – وهو المشرف على الرسالة – والدكتور بدوي طبانة والدكتور محمد جنيدي جمعة ، وعلى الرغم من دسامة الموضوع العلمية ، وعمقه الفكري ، نجد صاحب البحث يصدره بعبارة اهداء تبدو فيها الناحية العاطفية الرقيقة بجلاء ، حيث يقول في الاهداء :

« الى اطياف النور : هذا جهد متواضع في ميدان البحث العلمي ، لم اتريث في اهدائه الى ثلاثة رجال خالطوا قلبي ، وكان لهم من النفس موقع جليل .. الى روح الامام الجليل ابي بكر عبد القاهر الجرجاني ، ذلك الذي شرع لبحث البلاغة منهجا فيما يعرف فضله كل باحث يحترم العقل والحقيقة . والى روح الامام الثبت ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الذي منح العربية ولسانها عقله وقلبه ووجدانه ، فأودع تراثها ذخرا من الدراسة اللغوية والادبية لا يزيده مر الزمان الا قوة واصالة ومكانة . والى روح والدي رحمه الله ، الذي كانت آخر انفاسه في هذه الدنيا همهمات ضارعات الى الله ان يوفق ولده في طلب الخير ، وان يجعله من حملة هذا العلم الذي يحمله من كل خلف عدو له .

اهديه الى هذه الاطياف التي طالما ابصرتها حائمة في آفاقي ترسل النور وتبعث الامل » .

ولقد ابان الدكتور ابو موسى في بحثه كيف يتميز البحث البلاغي في كشاف الزمخشري عن سائر البحوث البلاغية ، بانه بحث مرتبط بالنص ، حتى يمكن ان يقال انه بحث بلاغي تطبيقي ، والتطبيقات في الدراسة البلاغية تتركز فيها قدرة الدارس ومهارته ، وقواعد البلاغة واصولها يمكن ان تجمع في صفحات ، ولكن المهم هو النظر العميق في النص المدروس ، وتحليل تراكيبه ، وابراز محاسن صياغته ودلالات خصائصه ، وذلك لا يتأتى الا بفقه النص وتذوقه ، وقد اشار القدماء الى ان تذوق النص الادبي جزء من منهج الدراسة البلاغية ، ولذلك عولوا على الطبع المتهيء والقريحة الوقادة ، ولما كان هذا البحث في الكشاف متفرقا مبعثرا فيه هنا وهناك ، فقد عمد الدكتور ابو موسى الى بيانه وتوضيحه وتحليله ومناقشته ، حتى يرى الدارسون كل ما قاله الزمخشري في مسائل البلاغة مدروسا ومحددا ، ومن هنا يتضح ما اضافه من اصول في هذه الدراسة ، وافاده من غيره ، وما افاده غيره من جهوده .

ولقد لاحظ الباحث ان الزمخشري في بحثه البلاغي يقف عند مفردات النص ، ويشير الى تمكن الكلمة في سياقها ، وملاءمتها لصاحبها من حيث مادتها وهيئتها ، كما ينظر في معاني ادوات الربط ، ويفسر مواقع حروف الجر ، ويذكر دلالات التعريف والتنكير . وكذلك يقف الزمخشري عند احوال صياغة الجملة ، ويفسر خصائصها ، فيذكر مثلا التقديم وصور الامر والنهي والاستفهام والبدل والعطف ، وغير ذلك .

ثم يدرس الزمخشري في بلاغته العبارة والجمل والآيات ، فينظر في الفواصل القرآنية ، ويذكر الفصل والوصل ، والالتفات والتكرار والاختصار ، ثم يتناول الصور البيانية مفسرا ودارسا ، فيذكر التشبيه والمجاز والكناية ، وهو بعد هذا يذكر الوانا من البديع ، ويشير الى قيمتها البلاغية .

وكان هناك رأي يقول ان الكشاف قد استمده الزمخشري من تفسير مخطوط منسوب الى الرماني ، ولكن الباحث اظهر بأدلة قوية ان هذا التفسير المخطوط ليس لعلي بن عيسى الرماني ، لان صاحب هذا المخطوط ذكر فيه اعلاما وكتبا لم توجد الا بعد الرماني ، كما انه ذكر فيه الزمخشري وكشافه . ثم ابان الباحث اثر الكشاف في الكتب البلاغية التي تلته ، مثل كتاب « المفتاح » للسكاكي ، و « المثل السائر » لابن الاثير ، و « الطراز » للعلوي .

واذا كان الزمخشري قد عني في كشافه ببيان وقع الكلمة القرآنية وملاءمتها لسياقها ، مع بعض العثرات من الزمخشري عند التطبيق ، فانه ايضا قد عني ببيان الاسس التي سار عليها نسق الجمل وترتيبها في القرآن الكريم ، وهذا موضوع جدير بالاهتمام والتوضيح ، لانه يتعلق بالمعاني وتتابعها ، وكيف يمهد سابقها للاحقها ، والجملة القرآنية بصفة عامة ما زالت بحاجة الى دراسة واسعة تبين كيف انتفع الشعراء والادباء والخطباء بهذه الجملة ، وقد اكدت الدعوة الى هذه الدراسة في كتابي « امير البيان شكيب ارسلان » وفي دراستي عن « رشيد رضا وجهوده الادبية واللغوية » .

وقد عني الباحث بتجلية ما افاده صاحب « المثل السائر » من كشاف الزمخشري ، فقد نقل ابن الاثير من الكشاف كلاما كثيرا عن موضوع « الالتفات » دون ان يذكر مرجعه ، وكذلك فعل عند الحديث عن « توكيد الضميرين » ولم يزد على كلام الزمخشري الا بعض التحليلات التي جاءت على نسق ما ذكره الزمخشري ، وكأنها اضافة في الامثلة فقط . ويتحدث ابن الاثير عن عطف المظهر على ضميره فيعتمد على تحليلات الكشاف ، وينقلها نقلا يكاد يكون كاملا ، وفي التفسير بعد الابهام يأخذ اكثره من الكشاف ، وكذلك في التقديم والتأخير ، واما في دراسة الحروف الجارة فلا يوجد لابن الاثير الا الشرح والاستنباط من كلام الزمخشري ، وفي الجملة الفعلية والجملة الاسمية يجعل بعض نصوص الزمخشري اساسا لدراسة هذا الموضوع ، وفي الاستدراج يدعي ابن الاثير انه قد استنبطه من كتاب الله تعالى ، وان مدار البلاغة كلها عليه ، ثم يأخذ كل باقي كلامه من الكشاف ، ولا يضيف الا شاهدا واحدا جاء على وفق ما في الكشاف ، ولم يقتصر ابن الاثير على الاخذ في كتابه « المثل السائر » من الكشاف ، بل نقل كثيرا من الكشاف الى كتابه « الجامع الكبير » ، وكأن ابن الاثير كان يستجهل أهل زمانه حين يوهمهم ان ذلك مما استنبطه من كتاب الله عز وجل .

ونأتي الى لمحات من المناقشة التي دارت حول هذا البحث ، فقد اثنى الدكتور بدوي طبانة على الدراسة وصاحبها ، وقال فيما قال ان كل صفحة من صفحاتها لا تخلو من حسنة من حسنات العلم ، وانها لتستحق السنوات الخمس التي قضاها الدكتور ابو موسى في استكمال هذا البحث ، ولكن الدكتور بدوي اخذ على الباحث انه شغل نفسه في جانب من بحثه ببحث المفردات، مع ان الفكرة الاساسية في بلاغة الزمخشري هي « فكرة النظم » ، والنظم يتعلق بالجملة لا بالمفردات ، لان إهم ما في النظم هو العلاقات ، وهي تتحقق في الجمل لا في المفردات .

ومن طرائف الحديث الذي اداره الدكتور طبانة لمحاته اللغوية التي لفت اليها ، فاسم « الباقلاني » ليس بتشديد القاف ، بل بكسرها فقط ، وكلمة « طوال » بفتح الطاء معناها طول او مدة ، وكلمة « طوال » بضم الطاء معناها طويل ، وكلمة « طوال » بكسر الطاء معناها جمع طويل، وما اغنى هذه اللغة العربيةالكريمة الثرة الخالدة.

وجاء دور الدكتور محمد جنيدي جمعة استاذ البلاغة بكلية اللغة العربية ورئيس قسم البلاغة فيها ، فاثنى على الدراسة وصاحبها ، ونوه بالجهد المبذول فيها، ولكنه اعترض على الباحث بانه مسبوق في دراسته بكتاب « النظم القرآني في كشاف الزمخشري » للدكتور درويش الجندي ، وقد رد الدكتور ابو موسى على ذلك بانه لم يطلع على كتاب الجندي الذي طبع اخيرا الا بعد الانتهاء من بحثه ، وقد اشار الدكتور ابو موسى في عرض الرسالة عند بدء المناقشة الى كتاب الدكتور الجندي ، وقال انه بذل فيه جهدا طيبا ، ثم عقب على ذلك بقوله : « ولكني اعتقد ان ما كتبه في بلاغة الكشاف لم أسبق اليه ، وذلك لانه لم يدرسها احد قبلي دراسة مستوعبة شاملة ، يتحدد فيها راي الزمخشري في كل مسألة من مسائل العلم تحديدا يقوم على الاستقراء الكامل والتتبع اليقظ ، الذي لم يترك شيئا يتصل بالبحث البلاغي في الكشاف الا اشار اليه ، ووضعه في مكانه ، ولم يتيسر لباحث مدقق ان يقف على رأي الزمخشري في كل مسألة من المسائل البلاغية التي اثارها ، وقوفا تطمئن اليه نفسه الا في هذا البحث . على انه لم يدرس احد مثلي بلاغة الكشاف دراسة تفسير وتحليل ومناقشة ، وهذا لون من البحث يعرف صعوبته ودقته من دفع الى مضايقه » .

هكذا تحدث الدكتور ابو موسى مدافعا عن نفسه مفتخرا وممتزا بجهده ، وجاء الدكتور كامل الخولي عضو لجنة المناقشة والمشرف على الرسالة ، فايد صاحبها في انه لم يطلع على كتاب الدكتور الجندي الا بعد ان اتم بحثه ، واثنى الدكتور الخولي على جهد الباحث وصبره وخلقه العلمي .

وبعد طول المناقشة قررت اللجنة منح الدكتور محمد محمد حسنين ابو موسى درجة « الدكتوراه » مع مرتبة الشرف الاولى في علوم البلاغة ، فكان ذلك تقديرا كريما لبحثه وجهده .

واحب ان اشير الى ان الدكتور ابا موسى قد قال عن كتاب « خصائص العشرة الكرام البررة » انه مخطوط، مع ان هذا الكتاب قد طبع منذ اكثر من عامين في سلسلة كتب التراث التي اصدرتها وزارة الثقافة والاعلام بالعراق ، وذلك سنة ١٩٦٨ ، وقد قامت بتحقيقه والتعليق عليه والتقديم له الدكتورة بهيجة باقر الحسني، وهو مطبوع في المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ببغداد ، ويقع في مائة واربع وثمانين صفحة .

تحية طيبة الى الباحث الموفق الدكتور محمد ابي موسى ، وما زال العلم ينتظر من شبابه وبحثه الكثير ، فان البداية تشير الى غد مشرق مأمول .

القاهرة — احمد الشرباصي



لبنان وشبابه

تأبى لك الاشبال ان تتغابى   عنها ، فقد ملأ الزئير الغابا
من حقها المشروع ان ريع الحمى   دون الحمى ان تشرع الانيابا
ان العرينة قد تحول مغارة   للذئب ، ان وهن الهزبر وشابا

لبنان اصلاب الشيوخ تقوست   أحسبت للنشء الجديد حسابا
فاجمع لاشياخ الحمى فتيانه   تجمع لديك القوس والنشابا
أو لا ، فدع وهن الشيوخ وبطئها   واعط الزمام شبابك الوثابا
دنياك عن ظهر التراب ترجلت   ومضت تحث الى النجوم ركابا
أما النساء فان قرنت بسعيها   سعي الرجال، زكا الغراس وطابا
تلك الحمائم لو رفقن حوانيا   لبعثن من شيب النسور شبابا
ونسجن للوطن الجريح ضماده   وكسونه من ريشهن ثيابا
لا تنكرن ، ألست فرخ حمامة   بعثتك للافق الفسيح عقابا
ما ان رأيت من الرجال مميزا   خلب العقول بعقله اعجابا
الا رأيت وراءه أما به   نحتت وراشت سهمها فاصابا
ولكم عرفت من النساء صياقلا   تجلو العقول وترهف الالبابا
ألهبن احساس الرجال ، وان خبا   حس الرجال نبا الذكاء وخابا
كالثلج جمده الصقيع على الربى   فاهتاجه وهج الشعاع فذابا
فجرى ينابيعا وسال جداولا   وكسى اليباب الزهر والاعشابا

لبنان ثار على الجمود ، وانما   فجرت يداه من الجماد سرابا
ان الألى طلبوا الجديد بهدمهم   هدموا البناء وغادروه خرابا
علم شبابك ان يثور بعقله   لا ان يفور ويهدر الاعصابا
بصفاء جوهرها النجوم تألقت   وبناره احترق الشهاب وغابا

فارس سعد

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

نشأة شاعر ..

مقدمة : هذه صفحات حاولت ان اكتبها من قبل ، حفظا لما فيها من ذكريات غالية ، واظهارا لما تضمنته من حق هضيم ، ومطاوعة للقلم في تسجيل رحلة العمر .. تشجعني اليوم كثرة حصاد السنين ، وقرب تمام الستين ، وكرم المسه في افساح صدر « الاديب » .. للاديب .. على محاولة اعادة كتابتها .. فلعل في محاولة الإعادة ، ما يعود بالخير على الادب والادباء !

نزلت القاهرة في الثالثة عشرة ، لالتحق بالمدرسة الثانوية .. ولا داعي لذكر شيء عن الفترة السابقة على ذلك ، فقد كتبتها في وقت مبكر بعنوان « النشأة الاولى » ... وربما حان يوما اوان نشرها ..

وفي صخب الجديد ، من دراسة ، وسياسة ، وادب .. وتأسيسا على قديم ، قرات فيه من كتب والدي ، ديواني المتنبي وابي العلاء ... وجدتني انظم ..

وفي القاهرة قرات ديوان حافظ ، وتابعت مساجلاته مع شوقي ، في المناسبات، واخصها المناسبات السياسية ، التي كنت اتابعها مع الطلاب ، بالاضراب عن الدراسة .. والتوجه الى « بيت الامة » .. حيث وقعت المرة اليتيمة ، التي رأيت فيها الزعيم سعد زغلول وسمعته يخطب .. كما رايت شوقي ، واستمعت لقصيدته ، التي يحييه فيها بقوله :

صباحك كان اشراقا وسعدا فيا يوم الرسالة .. عم صباحا !

وكان شوقي في هذه الفترة انشط من حافظ .. فتابعت ما قال في حفل تكريمه ، وما قيل فيه عام ١٩٢٧ .. واذكر تحيته لتمثال نهضة مصر .. واقف عند مراثي الشعراء في آخر ذلك العام لسعد زغلول .. وفي مقدمتهم شوقي ، وحافظ ، ومطران .. ثم شاعر الجبل الاشم ، بشارة الخوري ، الذي عرفته منذ تلك اللحظة .. ببيتيه الرائعين في مطلع مرثيته .. وهما :

قالوا دهت مصر دهياء.. فقلتلهم هل غيض النيل، ام هل زلزل الهرم
قالوا اشد وادهى.. قلت ويحكم اذا لقد مات سعد، وانطوى العلم

وجاء يوم عيد الجهاد الوطني ، بعد شهر واحد من حفلات التأبين .. وطالعتني قصيدة اخرى لشوقي ، يصف فيها سعدا وصحبه حين ذهبوا الى المعتمد البريطاني ، يطالبون بالاستقلال .. واقف عند تعبير له ، اجده رائعا اذا قرنته الى الشعر القديم ، كما اجده في نفس الوقت غريبا غير مستساغ ، اذا قرنته إلى الواقع الحديث .. وهو قوله :!

وقفوا مطيهمو بسلم قصره والباس والسلطان دون السلم !

ماذا كان يركب الزعماء ؟ ان المطيء تعبير عربي اغلب ما يشير فالى الابل التي كان يركبها العرب قديما ، في ارتحالهم وسفرهم .. فهم يقفونها عند مواضع النزول ، ويشدونها عند ساغة الظعن .. فماذا كان يركب الزعماء ؟!

وطالعتني قصيدة لشوقي ، في ذكرى استقلال سورية .. وهكذا كان هذا التفتح على مصر والبلاد العربية ، في شعر تلك الفترة ، في آن واحد ..

ولكن .. ما الذي نظمته يومئذ ، في كل تلك الاحداث .؟

لقد كانت محاولات ، عرفت بها بين الاساتذة والطلاب .. كان اولها القصيدة التي قدمتها في حفل المدرسة الثانوية ، لتأبين الزعيم ، فاختيرت ، والقيتها.. واصبحت معروفا في المدرسة اكثر ، حين اقيم حفل لناظر المدرسة الجديد ، الاستاذ محمد رفعت (وزير المعارف فيما بعد) .. والقيت فيه قصيدة اقول فيها :

وبرفعت علقوا باطراف السهى حتى تمتع بالنجوم .. الناظر !

وساجلت من الزملاء شاعرين .. وراسلتهما في عطلة الصيف بخطابات تبادلنا فيها القصائد ، هما الاستاذان حسين جبالي منشاوي ، وعبد السلام عباس المكاوي .. وكانت مساجلات المكاوي اقوى ، لانها كانت في الفترة الاخيرة من المرحلة الثانوية .. وبعد التخرج بقليل ..

كنت فيما بيني وبين نفسي اضيق ذرعا بالمناسبات .. فالقاء قصيدة في حفل الشاي ، معناه احساسي بهذا الشعور الغامض من الرهبة للموقف ، يصحبه اضطراب القلب ، وسرعة ضرباته .. ولا ينتهي هذا الشعور ، الا بعد القاء القصيدة ، التي كان يأتي دورها في النهاية غالبا .. فلا اتذوق طعما للشاي ، ولا لقطع الحلوى او الفاكهة ..

ولكني كنت اقبل على المساجلات ، وانشط لها .. ورحت اكتب البيت او البيتين اضمنهما موضوع الانشاء .. كما رحت اترقب عطلة الصيف ، لاجلس الى نافذة البيت ، المطلة على ذلك الحقل الممتد ، من حدائق شبرا، بضواحي القاهرة .. وفي ذلك الحقل كتبت قصائد بعنوان « الحقل الابدي » ... و « الروض الناعس في الظهيرة » .. وغيرها ..

ثم انتهت فترة الدراسة الثانوية .. والتحقت بكلية الآداب في جامعة القاهرة .. ولكن التحاقي بالجامعة

صحبه حادث محزن .. كان حافظ قد انتقل الى رحمة الله في شهر يوليه من الصيف .. وها هي الجامعة تفتح ابوابها في يوم السبت ١٥ اكتوبر .. وها هي صحيفة الصباح معي ، وقد جللت بالسواد ، وهي تحمل صورة شوقي .. الذي انتقل الى عالم الخلود .. يوم الجمعة .. امس !

هل يدل ذلك على ان الاجيال تتتابع ؟ وان التحاقي بالمعهد الذي سعيت الى الالتحاق به لاكمال دراستي عن طريق الادب .. يشير من طرف خفي الى « مسؤولية » سوف تحملني اياها الايام ؟! ..

هذا ما هيأه لي غرور الشباب .. في ذلك الصباح .
حقا .. لقد كنت مغرورا ..

كان ابي يحملني على الالتحاق بكلية التجارة .. فأبيت .. وبعد عشر سنوات ، عاد والدي يسألني ، الم اندم لاني لم التحق بالتجارة ؟.. وقلت له : كلا !

واليوم بعد قريب من اربعين سنة .. اشعر انني اخطأت اجابة والدي .. وانه كان من الواجب ان اقول له : نعم !

على ان وفاة شوقي كانت حدثا ادبيا رهيبا في حد ذاته .. وقد اصبحت في كلية الآداب .. ولا بد ان اعمل شيئا ..

التحقت بجماعة الطلبة لنشر الثقافة .. التي تحولت فيما بعد الى جمعية نهضة القرى .. وسارعت الجماعة الى الاحتفال بتأبين شوقي بنادي الجامعة ، مساء الجمعة ٢٨ اكتوبر .. ونشرت « الاهرام » في صباح السبت ٢٩ اكتوبر ، في معرض حديثها عن الحفل ابياتا من « قصيدة عصماء » ــ كما قالت الصحيفة ــ القاها ــ الاديب » ــ كما اسمتني ايضا ــ .. فكان مطلعها :

فجع الشرق في امير بيانه   وعكاظ القرون .. في سحبانه !

ومنها :

يا لورد الربيع من وهج الصيف ، مذيب الصخور في نيرانه
اقفر الروض بعد انس ، ومات   الورد حزنا ، وجف في وديانه
وغدت كرمة ابن هانيء .. قاعا   صفصفا ، بعد انسه وافتتانه

واقيمت بعد ذلك حفلات التأبين الرسمية ، وقدمت وفود البلاد العربية الى مصر .. فلما اخذت هذه الوفود في العودة ، نظمت قصيدة في وداع اعضاء تلك الوفود .. نشرتها « الاهرام » .. بعدد الثلاثاء ١٣ ديسمبر ١٩٣٢ .. فقالت :

تلقينا من حضرة الاديب عامر محمد بحيري بكلية الآداب ، قصيدة يحيي بها وفود الشرق في تأبين المغفور له شوقي بك ، نقتطف منها الابيات الآتية :

وفود الشرق قد نزلت بمصر   بارحب دورها المستقبلات
سعوا قدما لها ، وسعت اليهم   وقاموا نحوها بالواجبات
وما شوقي شاعرها .. ولكن   لهم فيه حقوق الامهات
سقاهم في يفاع الشرق غيث   فزان رباه مخضل النبات

فكم قد انبتت من بعد شوقي   فطاحل اسكروا بمعلقات
سجدت لقدرة قد علمتني   ولاد النخل من دفن النواة
رجال الشرق ما ظمئوا تساقوا   بماء النيل او ماء الفرات
هما رحم لو انقطعت لكانت   كتقطيع العروق النابضات
وقبل الناس كان الشرق حيا   وكان الغرب يغرق في سبات
ليعلم بالحقيقة مستهين   بتضييع الحقوق الخالدات

ثم مرت الايام ، وتتابع الشعر ..

وقد ساعد هذا التفاعل الادبي الكبير ، الذي احدثه مهرجان شعراء العروبة في تأبين امير الشعراء .. كما ساعد ظهور مجلة « ابولو » ، التي راس شوقي اول اجتماع لمجلس ادارتها ، وانتخب خليل مطران من بعده رئيسا لجماعتها ، وقام الشاعر الدكتور احمد زكي ابو شادي بنشاط كبير في موالاة اصدارها .. ساعد كل ذلك على قيام حركة شعرية كبيرة .. جعلتني احس ــ اول التحاقي بكلية الآداب ــ انني بت اعيش وسط دوامة صاخبة .. وللحديث بقية ..

مصر الجديدة   عامر محمد بحيري

الصدى الكاذب

ثمة جريدة تحمل اخبارا صغيرة
تتدحرج الي عبر نسيم عتيق مؤلم
ترتطم بقدمي
تدغدغها ... يا لها من هرة جائعة
تبحث عن حنان
عن شيء يدفئها
أأقذف بها
لا ....
ساحملها ساغمرها بكل ما احمل من برد شتائي
ساوسخ ثيابي بالوانها الفاقعة .. ساقرها
... لم كل ذلك .. ؟!
لا .. والف .. لا
ستلاحقني عيناه حتى من بين السطور
ستحدقان بعيني كالف جريمه
أثمة ما يوجب العودة الى امس ولى ..؟
اختنق بالبكاء
ساحرقها .. ساجعل من رمادها طينا
ينتصب سورا حول قلبي
سورا اتقي به عينيه المشتعلتين في عيني
سورا يقيني همساته التي ارى في كذبها صدقي

منى خوري

القس صالح سابا - فؤاد سابا
فؤاد عطا الله - رأفت فارس

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ - القس صالح سابا

الذين عرفوا المرحوم القس صالح سابا ، هذا التقي الورع ، يذكرون الحكمة التي انطوت عليها عبارة الرئيس ابراهيم لنكولن ، واتخذها هذا القس شعارا ظل يردده في حياته :

« يهمني جدا ان يذكر الناس بعدي انني بذلت جهدي لافجر طاقات انسانيتي حتى النفاد ... فما وقفت خطواتي على حسكة الا وحاولت اقصاءها عن درب الآخرين .. وما اعترضت مسيرتي شوكة الا واقتلعتها لازرع مكانها زهرة شذية الفوح على درب الواجب والحق والفداء ! » .

ولد القس صالح سابا في مدينة « الناصرة » بفلسطين سنة ١٨٧٣ وتلقى فيها دراسته الابتدائية والتحق بكلية الشباب بالقدس (الكلية الانكليزية فيما بعد) ورسم قسا انجيليا سنة ١٩٠٠ ورعى كنائس شفا عمرو وحيفا والقدس ، وتولى رئاسة المجمع الكنسي الوطني اربع سنوات (١٩٢٠ - ١٩٢٣) واشتهر كواعظ مفوه وخطيب بليغ ينطق العربية بلهجة « اصمعية » وامتاز - فوق مكانته الادبية - بروح متدينة وبايمان كبير بالله الذي بيده النفع والضر ، وباخلاق رفيعة حببت فيه ابناء عصره وادباء زمانه .

ولا يزال الاحياء من ابناء فلسطين يذكرون عظاته الوطنية البليغة واقبال الواعين من العرب على حضورها في الكنيسة الانجيلية بالقدس ويتذكرون خطبته الشهيرة في المظاهرة الكبرى التي جرت في القدس سنة ١٩٢١ ضد وعد بلفور وقد استهل كلمته الوطنية بكلمة «قاطعوهم» مع ان ارجل الاخطبوط الصهيوني لم تكن قد ظهرت للعيان عهد ذاك .. ولكنه بنظره البعيد راى تلك « الارجل » خلال عبارات ذلك الوعد المشؤوم .

وفي ١٥ - ١١ - ١٩٣٥ توفي هذا القس الصالح في القدس ودفن في مقبرة صهيون وترك في الاوساط الوطنية اللوعة على فقد الوطن بشخصه راعيا واعيا يخاف الله ويبارك العدل ويحارب الظلم !

نموذج من شعره : نشر القس سابا الكثير من المقالات في « مجلة الاخبار الكنسية » ونظم طائفة من الترانيم الروحية ، ومنها الترنيمة التالية التي يشجب فيها الحرب والشر :

الحرب شر عظيم	نار امتحان شديده
فاجعل الهي خطانا	نحو الصلاح سديده
وهب لنا منك عهدا	ممجدا بالسلام
يسود فيه الفادي	بالبر بين الانام
فينتهي كل شر	وتنتفي كل نكبه
وكل فرد ينادي	بحمد رب المحبه

٢ - فؤاد صالح سابا

في حديثه يكره اللف والدوران ... ويميل الى البساطة والمصارحة ... وظل شعاره في حياته السياسية قول الدكتور فايز صايغ :

« لم يكن المسلمون العرب ، ولم يكن المسيحيون العرب هم المذنبين فيما اصاب اليهود من آلام في اوربا ، بل هي اوربا التي اذنبت فيما اصاب اليهود من متاعب ! » .

ولد « فؤاد » في بلدة « شفا عمرو » بفلسطين سنة ١٩٠٢ ودرس في ثانوية الفرير وفي مدرسة الروم الكاثوليك والمدرسة المارونية في حيفا واتم دراسته الثانوية في مدرسة المطران بالقدس وصرف سنة دراسية في الكلية الانكليزية في بيت المقدس وتخرج من الجامعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٢٤ بدرجة بكلوريوس تجارة وكان موضوع الاطروحة التي قدمها للجامعة « النهضة الاقتصادية في الشرق الادنى » وبعد تخرجه عين استاذا في كلية كردينال فراري (كلية تراسانطا فيما بعد) وفي جمعية الشبان المسيحية بالقدس ثم اسس مكتبا للمحاسبات القانونية سنة ١٩٢٦ بعد ان حصل على عضوية جمعية المحاسبين « سرتيفايد » في لندن وعلى رخصة حكومة فلسطين كمدقق حسابات قانوني واسس شركة « سابا وشركاهم - محاسبون قانونيون معتمدون » وبذلك كانت مؤسسته هذه اول مؤسسة عربية لتدقيق الحسابات في الشرق الاوسط ، وامتدت فروعها تدريجيا الى القدس وحيفا ويافا ونابلس وعمان ودمشق وبيروت ثم انتشرت في معظم الاقطار العربية وبلغت واحدا وعشرين فرعا .

ويعتبر الاستاذ فؤاد سابا الرائد العربي الاول في تدقيق الحسابات القانونية وفي التنظيم الاقتصادي والمالي في البلاد العربية ، وهو يحمل العضويات الجامعية والمهنية التالية :

١ - بكلوريوس في العلوم التجارية من الجامعة الاميركية في بيروت .

٢ - زميل في جمعية المحاسبين القانونيين « سرتيفايد » في بريطانيا .

٣ - زميل في معهد خبراء التحكيم في بريطانيا .

٤ - زميل في معهد خبراء الضرائب في بريطانيا .

٥ - عضو في جمعية خبراء الضرائب الدولية في لاهاي .

٦ - عضو في عدة جمعيات عالمية تتعلق بالعلاقات التجارية الفارقة وبراءات الاختراع .

وايمانا من الاستاذ سابا بضرورة التنظيم الاقتصادي والمالي العربي أسس « شركة المطبوعات العربية المحدودة » في القدس واصدر عنها :

أ - مجلة الاقتصاديات العربية (١٩٣٥ - ١٩٣٦) وقد تولى رئاسة تحريرها .

ب - مجلة بالستاين اند ترانس جوردان (١٩٣٦ - ١٩٣٧) وقد تولى رئاسة تحريرها . وكانت تنطق باسم الشعب العربي الفلسطيني اثناء الاضراب المشهور الذي بدأ في ٢٠ نيسان ١٩٣٦ ودام ستة اشهر .

وفي اعقاب عام ١٩٣٧ عينته « الهيئة العربية العليا » سكرتيرا لها اثر اعتقال سكرتيرها الاستاذ عوني عبد الهادي ، وحصل بعد ذلك ان تصاعدت الاضطرابات في فلسطين واغتال المناضلون العرب مستر اندروز مساعد حاكم لواء الجليل فاتخذت السلطة البريطانية من هذا الحادث ذريعة للتنكيل بعرب فلسطين وزيادة التشديد عليهم .

وفي اليوم الاول من اكتوبر ١٩٣٧ اعتقلت حكومة الانتداب كلا من : احمد حلمي باشا والدكتور حسين فخري الخالدي ويعقوب الغصين ورشيد الحاج ابراهيم وفؤاد سابا وكلهم من اعضاء « الهيئة العربية العليا » ونقلتهم الى طراد حربي اقلع بهم من حيفا الى جزر سيشل في الاوقيانوس الهندي ، وصرفوا في معتقلهم الرديء المناخ

هذا مدة خمسة عشر شهرا وظلوا فيه حتى نهاية عام ١٩٣٨ .

وعندما ايقنت حكومة الانتداب ان نار الثورة في فلسطين تزداد ضراما عمدت الى الافراج عن المعتقلين والمبعدين من رجالات فلسطين ، ودعت بعضهم لحضور مؤتمر سان جيمس المنعقد بلندن في كانون الثاني ١٩٣٨ وتمثل فيه رؤساء الحكومات العربية وممثلو الشعب الفلسطيني، لكن ذلك المؤتمر لم يسفر عن اي اتفاق حول منع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وبقي الاستاذ سابا ممنوعا من دخول فلسطين خلال ١٩٣٨ وفي اوائل ١٩٣٩ سمحت السلطة البريطانية له ولزميليه الدكتور حسين فخري الخالدي والفرد روك بالعودة الى البلاد .

من اثاره القلمية : احب الاستاذ فؤاد مهنة تدقيق الحسابات ومحض الاقتصاد العربي جل اهتمامه وعنايته وله في هذين القطاعين الآثار المطبوعة التالية :

١ ــ النهضة الاقتصادية في الشرق الادنى ــ طبع عام ١٩٢٤ .
٢ ــ مجلة الاقتصاديات العربية ــ (١٩٣٥) .
٣ ــ مجلة بالستاين اند ترانس جوردان ــ (١٩٣٦) .
٤ ــ ضريبة الدخل وقضاياها في فلسطين ــ (١٩٤٧) .
٥ ــ نشرة الادارة والمحاسبة (بالعربية) ــ (١٩٥٤) .
٦ ــ نشرة الادارة والمحاسبة (بالانكليزية) ــ (١٩٥٧) .

نموذج من نثره : « ان اسم مهنتنا (المشتق من فعل حسب) لا ينحصر بعلم الحساب لوحده او باي علم آخر من العلوم الرياضية ، فالرياضيات علوم واسعة يستفيد منها المحاسب والمهندس والفلكي وعالم الذرة وغيرهم . ويمكننا القول ان مهنة المحاسبة التي تفرغت لخدمة المؤسسات التجارية والمالية والصناعية . والمؤسسات الخيرية لم تعرف قبل القرن الثامن عشر ، ففي انكلترا لم يعترف بها كمهنة حتى سنة ١٨٥٤ وفي الولايات المتحدة سنة ١٨٩٦ وهكذا في فرنسا وسائر الدول الاوروبية . سبق ذلك مرور عدة عصور تطورت فيها التجارة والحسابات واسس الحكام انظمة الجزية والضرائب فسارت الاعمال الحسابية بشكل بسيط جدا وجدنا منه اثارا في بابل نقشت على لوحات خزفية ترجع الى ٢٣٠٠ سنة قبل الميلاد كما ان احد الكتبة الفرعونيين دون حسابات مالية للدولة الفرعونية سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد .

ولكن هذه كلها كانت قيودا حسابية بسيطة ، ولم يظهر علم الحسابات التجارية المعروف بالدوبيا (او القيد المزدوج) الا في عصر التجارة الايطالية اثناء القرن الثالث عشر ومنذ ذلك الحين بدات اصول المحاسبة في النمو ثم ما لبثت ان اصبحت ضرورة قصوى عندما بزغ فجر العصر الصناعي الذي اصبح يتطلب انظمة علمية في مشاكل الآلة وتكاليف الانتاج وسياسة التصريف مع ما يتبعها من منافسات حادة اوجبت استعمال كل حكمة ودراية في شتى نواحي النشاط الصناعي .

ومع تطور الصناعة نمت الشركات التجارية والصناعية والمالية واصبحت تتطلب رؤوس اموال كبيرة فزادت حركة الاستثمار واصبح المساهمون يعدون بالالوف . ولاجل حماية الجمهور المساهم اضطرت الدول لاصدار تشريعات مختلفة لتنظيم اصول تاليف الشركات ومراقبة اعمالها وتحديد المؤهلات العلمية التي يتوجب توفرها في « المحاسب القانوني » الذي اوجبت التشريعات تعيينه سنويا من قبل الجمعية العامة للمساهمين لمراقبة حسابات الشركات المساهمة .

وما ان نشات مهنة المحاسبة القانونية حتى شعر المحاسبون انفسهم وشعرت ادارات المؤسسات الاقتصادية المختلفة باهمية الخدمات التي يمكن لذلك الشخص المهني ، بفضل كفاءته وتخصيصه العلمي ، ان يؤديها لتلك المؤسسات من النواحي المحاسبية والمالية والادارية . كما ان بعض الشركات ، بعد ان لمست ما يتمتع به « المحاسب القانوني » من معلومات علمية ومهنية ، اخذت تستفيد من مؤهلاته وخبرته اما بانتخابه عضوا في مجالس الادارة او مديرا ماليا للاشراف على الاعمال المالية والمحاسبية في الشركة .

ويمكننا تحديد (علم المحاسبة) بانه علم تسجيل وتصنيف وترجمة الوقائع الاقتصادية في مشروع ما بحيث تسمح هذه المعلومات للادارة ان تقوم بعملها بشكل مفيد . كما ان هذه المعلومات المدروسة والمصنفة تصنيفا صحيحا تساعد المستثمرين والدائنين على فهم حالة المؤسسة.

في هذه الظروف تطورت هذه المهنة في الغرب بفضل جمعيات المحاسبين العالية التي جمعت افرادها تحت سقف واحد للتعاون فيما بينهم ولتنظيم الاصول المسلكية لاعمالهم ولاجراء الدروس العلمية لتماشي التطور السريع في هذا العصر الصناعي . ومع ان الجامعات كانت ولا تزال تدرس علوم المحاسبة والمال والاقتصاد فقد اعتادت مهنة المحاسبة على ضبط داخلي ينبع من الجمعيات ذاتها فهي التي شرعت لنفسها شروط الامتحانات العلمية الواجب اجتيازها وعدد سني التمرين الواجب الحصول عليه قبل ان يتمكن الشخص من ان ينتسب لعضوية تلك الجمعيات ولهذا درجت معظم الجمعيات على استعمال اسم خاص لاعضائها لا ينازعهم فيه منازع ففي الولايات المتحدة سموه (سرتيفايد ببلك اكاونتانت) وفي انكلترا سمته احدى الجمعيات (تشارترد اكاونتانت) وجمعية اخرى سمته (سرتيفايد اكاونتانت) وفي اوروبا جاءت قوانين الترخيص وسمته (اكسبير كونتابل) و (كونتابل اجريجيه) وغير ذلك من التسميات التي تدل على انتساب العضو للجمعية المهنية او على انه مرخص من الحكومة .

فتجاه هذا المجال الواسع من الخدمة للاقتصاد الوطني الذي تقوم به الجمعيات العالية مثل الافرنسية في فرنسا والبلجيكية في بلجيكا والانكليزية في بريطانيا والاميركية في الولايات المتحدة ومع ان هذه الجمعيات العالية تعتبر هي الجمعيات الام لانها عاصرت التطور المالي والتجاري والصناعي لما يزيد على قرن ولها في تنظيم مبادىء المحاسبة فضل كبير ، الا انه لا ينتظر من تلك الجمعيات ان تعالج شؤون المهنة في جميع اقطار العالم ولهذا وجدنا ضرورة تاسيس هذه الهيئة المهنية في هذه المنطقة الناهضة لتفسح مجال التعاون والتعارف بين اعضاء المهنة في لبنان والدول المجاورة ولتقوم باعداد محاسبين ذوي مؤهلات علمية وفنية عالية عن طريق اجراء امتحانات دورية تماثل في مستواها الامتحانات المتوجبة للحصول على العضوية في الجمعيات العالية .

ومن ناحية اخرى يتوجب على المحاسبين في هذه المنطقة من العالم ان يجتمعوا من وقت الى آخر لتدارس مشاكل هذه المنطقة والتعاون مع الهيئات والحكومات في كل ما يفيد الاقتصاد الوطني من ناحية الامور التي تدخل ضمن اختصاص الهيكل المحاسبي سواء اكان ذلك من جهة قوانين التجارة ام القوانين الضرائبية ام قوانين البورصات وما تتطلبه جميع تلك المؤسسات من تنظيمات تضمن للجمهور اقتصادا ناميا واستثمارا موفقا .

ليس هذا العصر هو عصر ارتجال في المشاريع الاقتصادية المختلفة ولا هو عصر للعمل الفردي فسواء أكان ذلك في الحكومات ام في المشاريع الاقتصادية اصبحنا في عصر التحليل العلمي وتطبيق المبادىء العلمية » .

٣ ــ فؤاد عطا الله

يصور ميكيل ادامز الصحفي البريطاني الشهير النزعات التي تعتلج في صدر الاستاذ فؤاد عطا الله بقوله السديد الجريء :

« ان الصهيونيين قد انتصروا حتى الآن لانهم زيفوا الحقائق ... وضللوا العالم ... وقضية العرب في غنى عن كل تشويه ومبالغة . والامر الذي تحتاج اليه هذه القضية هو ان تسمع ... ومتى سمعت ... فعندئذ تتكلم الحقائق بنفسها ! » .

ولد « فؤاد » في مدينة « الناصرة » بفلسطين سنة ١٩٠٥ ، وتحدر من اسرة عريقة لها في بلدة « جنين » ومنطقتها تاريخ حافل

بالخدمات ، وكان والده من كبار الملاكين في مرج ابن عامر .

وتلقى « فؤاد » علومه في الجامعة الاميركية ببيروت (١٩١٥ ـ ١٩٢١) وعاد الى فلسطين والتحق بمعهد الحقوق في القدس وتخرج منه سنة ١٩٢٥ واسس مكتبا للمحاماة في مدينة حيفا وكانت له في هذه المدينة المغصوبة نشاطات اجتماعية وقد شغل رئاسة عدد من الاندية الادبية وكانت له مواقف مشهودة في الدفاع عن المعتقلين العرب أمام المحاكم العسكرية البريطانية ، واشترك في عدد من المؤتمرات الوطنية واعتقل مع من اعتقلوا من شباب فلسطين سنة ١٩٣٨ وكان عضوا بارزا في « الحزب العربي الفلسطيني » .

ومع اطلالة النكبة الفلسطينية الاولى سنة ١٩٤٨ غادر حيفا مع عائلته الى لبنان واستدعاه المغفور له الملك عبد الله بن الحسين ليتولى منصب رئاسة محكمة بداية القدس فعضوية محكمة الاستئناف في المدينة المقدسة .

وفي سنة ١٩٥٢ طلق الوظيفة وزاول المحاماة في القدس وعمان ، وجذبه شعوره العميق بما احاط قضية بلاده من مؤتمرات دولية الى الاهتمام بالقانون الدولي فكتب العديد من المقالات ، والقى محاضرات في هذه الموضوعات وحضر عددا من المؤتمرات في القانون الدولي ، عقدت في ريو دجنيرو بالبرازيل واثينا باليونان وواشنطن بالولايات المتحدة ولاغوس بنيجيريا حيث تولى رئاسة مؤتمر افريقيا والشرق الاوسط لتضلعه من اللغتين الانكليزية والفرنسية .

وبتكليف من اللجنة القائمة على اعداد موسوعة القانون المقارن التي تصدر في باريس كتب الفصل الخاص بالقوانين الاردنية وتاريخها كما اعد الفصل الخاص بهذه القوانين في المجموعة التي اصدرتها ـ منظمة السلام العالمي ـ في ظل القانون بواشنطن .

وفي أيار من عام ١٩٦٩ القى الاستاذ عطا الله عددا من المحاضرات حول قضية فلسطين بدعوة من الارساليات المسيحية في الولايات المتحدة كما نشر مقالا قيما في موضوع معاهدات جنيف .

من آثاره القلمية : حاضر الاستاذ عطا الله في موضوعات حقوقية طريفة ومنها « احكام الانهر » وهو بحث في القانون الدولي العام قدمه الى مؤتمر المحامين العرب المنعقد في القدس سنة ١٩٦٩ ، وقد برهن في هذا البحث الطريف على الحق العربي في تحويل روافد الاردن واتخاذ كل اجراء يفضي الى الحيلولة دون تمادي اسرائيل في عدوانها بضخ مياه بحيرة طبريا الى النقب .

نموذج من نثره : « ان موضوع هذه المحاضرة ، معاهدات جنيف لعام ١٩٤٩ ، ان هو الا من صميم القوانين الدولية التي تنعكس فيها مبادىء ميثاق حقوق الانسان ، صاغتها نخبة من المفكرين والمشترعين لحماية العالم من ان يفني على نفسه ، فالقوانين الدولية ، كما هو معلوم ، تقوم على مبادىء العدالة الطبيعية كما اقرتها معظم الدول المتمدنة ، وعلى المعاهدات التي تبرمها هذه الدول من حين الى آخر لغرض او لآخر ، وتهدف من ورائها الى تنظيم علاقاتها بعضها ببعض ، ولتامين حياة البشر في اطار منتظم .

ولما كان هذا الجزء من القوانين الدولية بالذات ذا صلة بثورتنا على الظلم الذي نزل بأمتنا العربية وبانتزاع اجزاء عزيزة من وطننا الغالي ، وكنا ونحن على هذا الحال في حالة حرب ، كان لزاما علينا ان نلم بقوانين الحروب ، لذلك آثرت اختيار هذا الموضوع كبداية لحملة توعية وحركة اعلام لتعليم ابنائنا واخواننا الواقفين على خط الفداء واولئك الذين لم يكتب لهم بعد شرف القتال دفاعا عن حقنا المقدس وكذلك الصامدين في المنطقة المنكوبة بالاحتلال الصهيوني ، وليعلم هؤلاء ما لهم وما عليهم من حقوق كما تقتضينا ذلك جميعا ظروفنا الراهنة .

ولكي ندرك اهمية الموضوع الذي نحن في صدده ، لا بد لي من السؤال : من منكم لم يسمع عن المحقق اليهودي الذي يطفىء لفافته في عين السجين العربي ؟ من منكم لم يسمع بحادث دفن بعض شبابنا في غزة احياء وتسيير المصفحات على اضرحتهم ، بل على التراب الطاهر الذي ضم اجسادهم الندية ؟ من منكم لم يسمع عن طوق الحصار الذي ضربه جيش الصهاينة على منطقة بيت ساحور وعرب التعامرة منذ عدة اسابيع ومنعوهم من الخروج من بيوتهم وحتى من فتح نوافذ بيوتهم بحيث استشرى المرض بينهم وكادوا يختنقون من روائح النفايات التي تجمعت وعفنت في عقر دورهم ، ناهيكم عن حوادث هدم البيوت العربية ، وانظمة منع التجول ، واعتقال ابنائنا وبناتنا ، وتعريضهم لاقسى انواع التعذيب الجسماني والنفساني .

ولا بد لي في هذه المناسبة من دعم هذه الوقائع بالاستشهاد بما ورد على السنة بعض الشخصيات البارزة من اليهود انفسهم ، ومنهم ضابط يهودي ، وقد ضبط كتاب له ، محرر باللغة العبرية بخط يده في احدى السيارات اليهودية التي تركها قائدها وركابها على الضفة الشرقية من نهر الاردن بعد الهجوم الفاشل الذي شنوه على اردننا العزيز في الحادي والعشرين من شهر اذار ١٩٦٨ ، وقد نشرت صورته الفوتوغرافية في مجلة « النهار » البيروتية بتاريخ ٩ نيسان ١٩٦٨ » .

٤ ـ الدكتور رأفت فارس

كان شعاره الذي صحبه في مراحل عمره الحكمة القائلة :
« ليس عيبا ان نعرف الحقيقة ونقولها للناس ونحاسب المسؤولين عن الانحراف ... انما الخطأ أن نستمر في قبر الحقيقة وطمس معالمها على الجماهير ! » .

ولد « رأفت » في الناصرة بفلسطين سنة ١٩٠٩ ودرس في مدرسة الارسالية الانكليزية بالقدس بحكم انتقال والده المعلم امين فارس سنة ١٩٢١ للعمل مع الارسالية الانكليزية .

والتحق « رأفت » بمدرسة صهيون الانكليزية ونال شهادتها الثانوية سنة ١٩٢٥ وقصد الجامعة الاميركية في بيروت وتخرج منها سنة ١٩٢٨ وعاد الى فلسطين يحمل شهادة بكالوريوس في الطبيعيات والكيمياء ثم عاد الى رحابها ودرس الطب ونال الشهادة سنة ١٩٣٣ وعمل في المصحات والمستشفيات التي تعنى بالامراض الصدرية في لبنان (من سنة ١٩٣٣ ـ ١٩٣٥) وما لبث ان عاد الى فلسطين وانضم الى دائرة الصحة العامة في حكومة فلسطين وعمل فيها من سنة ١٩٣٥ حتى انتهاء الانتداب البريطاني سنة ١٩٤٨ وكان يشغل وظيفة اخصائي بالصدر فمديرا لمستشفى بيت صفافا للامراض السارية .

وفي سنة ١٩٤٦ احرز الجائزة الاولى الدولية للامراض الصدرية من جمعية القلب والصدر البريطانية بالاضافة الى تقدمة مالية شملت التخصص بالامراض الصدرية مدة سنة في بريطانيا .

وبعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين عمل في القدس اخصائيا بالامراض الصدرية في مستشفى المطلع . وفي سنة ١٩٥٢ التحق بخدمة الحكومة الاردنية كاخصائي بالامراض الصدرية فمدير للقسم الصدري ، ومثل الحكومة الاردنية وجمعية مكافحة السل في اكثر من خمسة عشر مؤتمرا دوليا للامراض الصدرية .

وفي سنة ١٩٤١ اسس جمعية مكافحة السل الفلسطينية وكان سكرتيرها ثم سكرتيرا لجمعية مكافحة السل الاردنية ، وله ابحاث طبية تتسم بالعمق في المجلات الطبية اللبنانية وفي مجلة الصدر الاميركية وفي المجلات الطبية التي صدرت في فلسطين والاردن .

نموذج من شعره : تغنى الدكتور فارس بكريمته « رشا » في اكثر قصائده ، ومن قوله في عيد ميلادها :

قم سريعا ... قم وهن	رب انسان وجن
ثم بارك عيد ميلا	د وجاهر بالتمني
هو عيد لـ « رشا » يو	م به الحسن يغنى

هيفاء والهزار

هيفـاء صفقت الصبا تلـوي بحلتهـا الرقيقـه
حتى بــدت وكانهـــا باهابها الزاهي لصيقـه
وكانمـا فينـوس قـد برزت بفتنتها العريقـه
في وجههـا مـاء الشباب الغض مـا أبهى بريقه
لمـا تالـق فـي سنى قسماتها السمـر الدقيقه
وبثغرها ضحـك الربيـع الطلق ضحكته الطليقه
متفجـر النبـرات ينبض بالمنى ثـر السليقـه
وبطرفهـا ســر الزمــان ظلالـه أبـدا عميقـه
من سحر بابل قـد تحدر مـن حضارتها العريقه
وبفرعهـا المسك الفتيق يرف ، مـا أروى فتيقه
بـين الغدائـر منــه أنــداء منمنمة أنيقـه
ينداح منهـا العطر آفاقـا من الذكرى سحيقه
وبقدهـا رسـم الصبا الريـان لوحتـه الانيقه
في صدرها في الكشح في الاعطاف بهجته دفيقه
وبخصرها الواهـي عرى منـه مؤطـرة وثيقـه

سارت على مهل تميس بخطرة الـدل الرشيقه
بخطـى كخفـق العـود راقصة موقعـة نسيقه
غنى الهزار لهـا نشيـد الخلق من بدء الخليقه
وهوى على أغصانـه قـد مل في الوادي طريقه
كالعاشق المفتـون لا يـدري لمن يشكو العشيقه
في طرفه العبرات قد غامت لها الدنيـا الصفيقه
يبكي علـى الماضي ولكن ليس يسمعنا شهيقـه

عـدن — محمد عبده غانم

ليس منها في الورى او — فـي سمـاء او بكـون
سادت الدنيـا بذوق — فهـي فـوق الثقلـين
زانها المولـى بعلم — ثـم اعطـى كـل حسن
هبـة المولـى مـلاك — أبعـد الاشجـان عنـي
رب باركها وصن مـن — شـر دهـر متجنـي
وامنحنها كـل خيـر — فـوق حسبـان وظـن

نموذج من نثره : نشر الدكتور « رافت » مقالات ادبية وطبيـة وعلمية في الصحف الفلسطينية والاردنية وكتب في جريدة « الدفاع » التي صدرت في يافا والقدس وعمان مقالات سياسية بعنوان « لا يفل الحديد الا الحديد » كما نشر سلسلة مقالات سياسية فـي جريـدة « البعث » التي كانت تصدر في مدينة رام الله . ومن مقالاته السياسية مقالة بعنوان « البرلمانات » وفيها يقول :

« المفروض في البرلمانات ان تمثل الشعب تمثيلا صحيحا لا غبار عليه ، وان ينتخب الشعب نوابه بمحض ارادته ... دون اي ضغط او اغراء او تهديد !

وعلى ممثلي الشعب ان يحققوا رغبات ناخبيهم ، وان يعبروا عن شعور الشعب ، وان يسنوا القوانين ويضعوا التشريعات التـي تفضي الى خير الشعب ورفاهيته .

وممثلو الشعب هم صلة الوصل بين الامـة والسلطة ، وعلـى عواتقهم تقع مسؤولية حفظ التوازن بين الفئتين ، وتقريب وجهـات النظر وتحديد الصلاحيات وتوجيه الجميع الى سبل الاصلاح . لذا فمن البديهي ان يكون نواب الامة خلاصة المجتمع علما وثقافة وان يكـون معيار انتخابهم العلم وسعة الاطلاع وليس الحسب والنسب والثراء ».

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

علم الفتى كمال ان علماء من جميع الامم الراقية يحاولون الوصول الى القمر بواسطة اقمار اصطناعية مجهزة باحدث الآلات العصرية ، وهم يتباهون بانهم اول من يرتاد الفضاء ، ويسعى لاكتشاف مجاهل السماء .

تذكر بساط الريح الذي كان يطوف به علاء الدين في هذا الكون الفسيح ، محلقا به فوق الصحارى والجبال والمحيطات ، مارا ببلاد الهند والسند وجزر البهارات .. فقال : ترى لماذا لا نلجأ الى بساط الريح لنصل به الى القمر قبل ان يبلغه رجال الصواريخ ؟..

فغاب في لحظة عن الوجود ، وراح يجوب الارض باحثا عن البساط المعهود ، فعلم من الرواة القدامى ان بساط الريح القديم ظل في حوزة فتى يتحدر من صلب السندباد ، هو ابن الاسكافي الشاطر حسن من سكان بغداد ، فرحل الى عاصمة الرافدين ، وحل في نزل يقع بين الكرخ والكاظمين ، وبعد بحث وتدقيق دام مدة شهرين على وجه التحقيق ، بلغه ان البساط موجود في بيت صاحب مركب بمخر دجلة ، اسمه عبد الجواد الاسكافي الملقب بابي عجلة ، يقيم في الناحية الشرقية من بغداد ، وينتمي في الاصل الى قبيلة من اهل السواد .

دخل الفتى كمال في خدمة عبد الجواد الاسكافي ، واغتنم كل فرصة للبحث عن بساط الريح القديم ، فعثر عليه مطويا في صندوق خاص بالبسة الحريم ، فوضعه في كيس وخرج به خلسة من الدار واسرع الى مغادرة الديار .. وما ان بلغ منطقة الرمادي حتى فرد البساط ، ونفض عنه الغبار واعاد اليه ما عرف به من نشاط ، فاهتز البساط وارتعش ، ثم ارتفع عن الارض قليلا مشيرا الى الفتى ان يمتطيه ، والا يخشى ملامة من امه وابيه .. فجذب كمال البساط اليه وتمدد عليه ، وامره بالانطلاق نحو السماوات السبع الطباق ..

وما هي الا ساعات معدودات حتى اخذت الكرة الارضية تصغر في حجمها لكنها لم تفقد شيئا من شكلها ، وهبط البساط على القمر ، وحط على فوهة بركان قديم يبدو انه كان في يوم من الايام بابا من ابواب الجحيم .

واندفع القادم الجديد يتجول في المناطق القريبة من بحر الغزال ، وهو قلق مضطرب البال ، فعثر على بقايا اقمار اصطناعية هي من صنع سكان الكرة الارضية ، ثم لاحت منه التفاتة الى فجوة في الصخر اشبه



قصة اسطورية
بقلم نجاتي صدقي

بالمغارة ، لها باب حديدي وعقد سميك مبني من الحجارة ، فتشجع وطرق الباب ، فسمع صوتا جهوريا من الداخل يقول بالعربية : من الطارق في هذا الجو الحارق ؟..

قال الفتى : رسول من اهل الحضر حط منذ لحظات على ارض القمر ..

وراح ساكن المغارة يدب على الارض وهي تهتز تحت قدميه وتميد ، وفتح الباب الحديدي بازيز وطنين ، وتطلع الى الفتى



بنظرات كلها رفق وحنين ، وقال : من انت ومن جاء بك الى القمر يا ابن الآدميين ؟..

قال الفتى : انا فتى من ابناء القرن العشرين ، جئت الى القمر مستعينا ببساط الريح القديم .. اغثني اغاثك الله ..

قال الشيخ : انت يا بني في الحمى ، ولن تجرؤ شياطين القمر ان تمسك باذى ، فادخل الى بيتي على الرحب والسعة ، وثق بانك في مغارة الهدوء والدعة ..

قال الفتى : ومن يكون مضيفي اهو من اهل القمر اصحاب القرون المجاس ام هو من سكان الكرة الارضية من الناس ؟..

قال الشيخ : انا يا بني ابو القاسم عباس بن فرناس ..

قال الفتى : من اين انت ايها الشيخ وما هي منزلتك بين العباد ؟.

قال الشيخ : انا من قرطبة بالاندلس ، وعالم فلكي من علماء القرن التاسع للميلاد ..

قال الفتى : وكيف اتيح لك ايها الشيخ ان تبقى على قيد الحياة مدة احد عشر قرنا دون ان تقيم لناموس الخلق وزنا ؟..

قال الشيخ : اعلم يا بني ان الحياة على سطح القمر دائمة البقاء، فشدة الحرارة تقضي على الجراثيم والطفيليات ، وشدة البرودة تحفظ الاجسام من الانحلال والفناء ..

قال الفتى : وما الذي حملك على الانتقال الى القمر ايها الشيخ الاغر ؟..

قال الشيخ : كنت يا بني منذ احد عشر قرنا في قرطبة ابحث في خفايا السماء وما تحتويه من عجائب ، وقد صنعت في بيتي صورة مصغرة للفضاء تسبح فيه الكواكب ، .. كنت لا انفك اراقب النجوم والاجرام السيارة ، ولا استطيع تحويل بصري عنها وهي تشن على بعضها غارة اثر غارة ، فاسهر معها الليالي وابلغها في

خيالي ، ولكم قفزت من الارض الى القمر ، ومن القمر الى المريخ ، والى المشترى ، وزحل .. كنت دائم التفكير في مصائر الناس اذا ما ضاقت بهم الكرة الارضية واخذوا يحبسون الانفاس ، وتراءى لي ان السبيل الوحيد لتخفيف الضغط البشري عن الارض هو في الرحيل الى الكواكب واستيطانها كواجب فرض ..

فاخذت ادرس طبيعة الفلك وما فيه من ابرجة شامخات ، فصنعت مجموعة متعاكسة من بقايا الزجاجات ، ووضعتها في انبوب طويل اشبه بخرطوم الفيل ، فباتت تكبر الاشياء ، واخذت اراقب منها السماء ، واصنع مثيلا لكل ما اراه في عالم الحلك ، واثبته في سقف قاعة اطلقت عليها أسم قاعة الفلك . وقد رايت من خلال ذلك الانبوب كوكب المريخ ، وفيه انهر وبحور خضراء ، فاستنتجت من ذلك ان الحياة قائمة في ذلك الفضاء ، ورغبت في الوصول اليه واكتشاف معالمه ، وتيقنت فيما بعد انه لا بد من القيام برحلة الى القمر كمرحلة اولية لبلوغ المريخ في شهر صفر..

وانصرفت الى التفكير في كيفية الخروج من جاذبية الارض والانتقال الى جاذبية القمر ، فاقتنيت نسرا كبيرا وقيدته بسلسلة طويلة معدنية ، واخذت اراقبه في فرد جناحيه وتحريكهما ، وفي طيرانه ، وتحليقه ، وارتفاعه عموديا ، وانسيابه افقيا ، وانقضاضه ، ودورانه ، وهبوطه ، اراقب ذلك كله مراقبة دقيقة فنية .

ثم صنعت لنفسي جهازا من ريش النسور ، وقضيت سنة كاملة وانا اثبته الى بعضه مستعينا بمجموعة من السيور ، واوازن بين الجناحين ، وليونة حركاتهما ، ونسبة الريش المثبت الى الجانبين ، كما صنعت ذنبا يتعادل مع قوة الجناحين ، ووصلته بحبل ينتهي بطرفيه الى يدي القويتين .

ولم اكتف بذلك فقد صنعت لنفسي اوعية من جلد الماعز تعبأ بالهواء ، فيصل الى فمي بواسطة مسالك غليظة من الامعاء ، فتساعدني هذه الاوعية في الوقت ذاته على تخفيف وزني وتنشيط ذهني .

ولا تتصور يا بني بانني جازفت بالطيران فجاة بل قضيت ثلاث سنوات وانا اجرب جهاز الطيران في حقل مفروش بالعشب والنبات، فاقفز من هضبة الى هضبة وكأني جني رائع دون ان اضغط على



نجاتي صدقي

●

الجهاز الرافع ، فتكللت هذه التجارب بالنجاح ، وجعلتني انعم بشعور لا مزيد عليه من الارتياح ، فتقوت ثقتي بنفسي ، وعقدت النية على المثابرة للقيام بهذه المغامرة .

وعلم الناس بمحاولتي هذه فسخر مني فريق من المفكرين والعلماء ، ووصموني بالهرطقة والغباء ، الا ان الخليفة عبد الرحمن الثاني ، طيب الله ثراه ، كان نصير العلم والادب والفن ، فقد ايدني في كل ما قمت به من محاولات ، وامدني بما احتاج اليه من مال ومعدات ، وكثيرا ما كان يزورني في قاعة الفلك ، او في مختبري متخفيا ، ويطلع على ما ابذله من جهد في دراسة الفلك ، ومراحل صنع جهاز الطيران ، مقتنعا بانني انما اكرس حياتي من اجل خير الانسان .

وصممت ذات يوم على اجراء تجربة عامة على جهاز الطيران في قرطبة ، فنادى المنادي : يا اهل قرطبة .. اخرجوا جميعكم الى الساحة العامة عصر يوم الجمعة ، لتشاهدوا ابا القاسم عباس بن فرناس الماهر وهو يحلق فوق رؤوسكم مثل النسر الكاسر ..

هلموا لمشاهدة الرجل الذي يطير ..

وضجت قرطبة بما سمعت .. وتدافع الناس الى الساحة العامة في الوقت المعين ، والخليفة عبد الرحمن يجلس على عرش مزين ، فصعدت انا على مأذنة قد ازيلت عنها حواجزها ، وارتديت جهاز الطيران ، ورفعت جناحي الى العلا ، فرفع المشاهدون رؤوسهم وكتموا انفاسهم ، ثم قفزت في الجو واسرعت في تحريك الجناحين ، واذ بي اسيطر على نفسي واطير ، واسبح في الجو مثل النسر الخطير ، والناس في تهليل وتكبير .

لقد اظهرت التجربة التي قمت بها بعض النقص في جهاز الطيران فيما يتعلق بالاندفاع العمودي ، فاثبت الى جانبي قرعتين مفرغتين تتسعان في الجانب العلوي وتقيضان في الجانب السفلي ، والغاية من ذلك الانطلاق من عقال ضغط الهواء الذي يعوق اندفاعي نحو الفضاء .

وبعد ادخال هذا التحسين الجوهري واختباره ، اعتزمت القيام بالمحاولة الكبرى دون ضجة ، فاما ان اهلك دونها او ان ابلغ المحجة ، فحررت كتابا للخليفة تركته على الخوان ، سألته فيه الصفح والغفران ، وفي فجر يوم من ايام

العزلـة

اتركيني فـي عزلتي وخلائي — وانطلاقي فـي فسحة الاجواء
في المدى الحالم الحزيـن المرائي — في عمـاق مـن وحشة الامساء
فمطف الانـوار يغمـر نفسي — فـي ظـلال السكينـة السجواء
والفيـوم الشهبـاء لفلفت الافـق ولاحت في هـالـة سـوداء
والغيوم السوداء تهطـل ثلجـا — كهطول الاشجان فـي حوبائي
وعـلا الحزن كـل شيء وغطى — مونقات الريـاض ثلـج الشتـاء
فبـدت امنـا الطبيعـة جهماء — تتهـادى بحلـة ، ربـداء
وعلى قمـة الهضاب سهـوم — كسهوم فـي اوجـه الشعـراء
وعلى النهر دمدمات وهول — نشر الذعـر في رحـاب الفضاء
فكأن الطبيعـة البكـر غضبى — غضبات فـي انفس الشعـراء
فهي آنـا كئيبة فـي وجـوم — وهي آنـا فـي غضبة الكبريـاء
وهي ام أحن مـن كـل ام — وصديـق موجـل ومرائـي
ارتمي فـوق حضنهـا مستلـذا — بتهاليـل فجرهـا الوضـاء
مستظـل بظلهـا مستكـن — ناهل مـن مراشـف الاضـواء
سابـح فـي عوالـم لا تراهـا — غيـر عيـن توضات بالصفاء
ونفوس تحـررت مـن تـراب — الارض واستوطنت رحاب السماء
تنشد الحق وهي في الحق تفنى — هائمـات فـي عالـم اللألاء

لاباز – بوليفيا

جورج الكعدي

الربيع ، وكان النسيم يهب عليلا على قرطبة ، صعدت الى سطح بيتي ، وزودت نفسي بالغذاء والماء ، واثنت الى جسمي جهـاز الطيران المتين وصرخت باعلى صوتي : يـا ارحم الراحمين ..

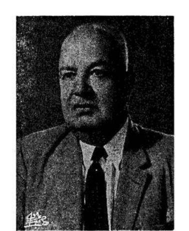
وما هي الا لحظات حتى كنت احلق في الجو عموديا ، وانا احرك جناحي بدقة وانتظام سويا ، فابتعد عن الاندلس شيئا فشيئا ، الى ان اختفت عن ناظري .. ثم وقعت في تيار جوي ابطل مفعول جناحي ، ورحت انساب في السديم انسيابا ، فابتعدت عن الارض ، وبعـد ثلاث شموس وثلاث ظلمات هبطت على سطح القمر في مكان اطلقت عليـه اسم غدير البنات .

وعشت يا بني في هـذا المحيط حيث لا زمـن ، ولا أعـوام ، ولا شيخوخة ، ولا موت قط .. ويخال الي انني قمت بهذه المغامرة بالامس فقط .

ولم اتمكن من اتمام رحلتي الى المريخ لان مخلوقات من اهل القمر ، ليس لها اي شبه ببني البشر ، وهي وادعة غيـر مؤذية ، قـد عبثت بجهازي الطيـار ولاكت قطعـه الجلدية ، وقضي علي ان اقيم على هذا الكوكب ، ولا يذكرني بالكـرة الارضية الا ما اراه احيانا من اقمار معدنية تدور حول القمر او تسقط على سطحه قريبة مني ، فاعلم ان سكان الكـرة الارضية لا ينفكـون يبحثون عني .

واتفق الفتى مـع الشيخ على العودة معا الى الارض على بساط الريح ، فاخذ ابو القاسم عباس بن فرناس نماذج من الكائنات القمريـة للدراسة والتشريح ، واستلقى على البساط ، فانطلق براكبيه وهو يهز طرفيه ، وكان الشيخ كلما ابتعد عن القمر يتغير شكله ويخف وزنـه ، والفتى كمال يرى في ذلـك عجبا ، ولا يدري له سببا ، وما ان اقترب البساط من الارض وتمزق الحجاب، حتى استحال عباس بن فرناس الى ضباب ، يرتفع في الجـو رويـدا رويدا ، وكأنه مارد يخرج من قمقم الف ليلة وليلة ..

نجاتي صدقي



محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

استرعت بصره

ويقولون : استرعت بصره ثلاثة كتب . والصواب : استوقفته ثلاثة كتب . اما الفعل (استرعى) ، فمن معانيه :

١ ـ استرعى فلانا ماشيته : طلب ان يرعاها له . يقال : استرعاه ماشيته فرعاها . وفي المثل : من استرعى الذئب فقد ظلم . أي : من ائتمن خائنا فقد وضع الامانة في غير موضعها .

٢ ـ استرعاه اياه : استحفظه ، أي : طلب منه حفظه ، (مجاز) .

بالرفاه والبنين

ويقولون : بالرفاه والبنين . والصواب : بالرفاء (بكسر الراء) والبنين . أي : بالالتئام ، والاتفاق ، واستيلاد البنين . وهو دعاء للمتاهل . وهي من رفا الثوب ، أي : لأم خرقه وخاطه .

وعندما يقول بعضهم خطأ : بالرفاه ، فانه يعني : لين العيش . وفعله : رفه رفاهة (بفتح الراء والفاء فيهما) ورفاهية (الياء غير مشددة) . والمصدر (رفاه) لا وجود له .

وعلينا ان نقول : بالرفاء (بكسر الراء) ، لان الحياة الزوجية في حاجة الى رفء كما يرفأ الثوب المزق ، اذ يستحيل وجود زوجين متفقين اتفاقا تاما .

ونقول : رفا الثوب يرفؤه رفأ (بتسكين الفاء) ، او : رفاه يرفوه رفوا ، او : رفاه يرفيه رفيا .

رفاة الامير

ويقولون : نقلت رفاة الامير عبد القادر الجزائري . والصواب : نقل رفات (بضم الراء) الامير . والرفات : هو الحطام ، او كل ما تكسر وبلي . وهو كلمة مذكرة ، تكتب بالتاء المبسوطة . وقد اخطأ امير الشعراء احمد شوقي حين أنث كلمة (رفات) في قصيدته التي رثى بها سعد زغلول ، وقال :

يا رفاتا مثل ريحان الضحى   كللت عدن بها هام رباها

ولو قال (به) لظل الوزن مستقيما .

واخطأ ابراهيم طوقان ايضا ، حين قال :

تلك رفات بليت   تبعثها الذكرى

راجع الآيتين ٤٩ و ٩٨ من سورة الاسراء .

اما (رفاة) فهي جمع (راف) ، وهو الذي يرفو الثياب ، أي: يصلحها .

رفاهية العيش

ويقولون : رفاهية (بتشديد الياء) العيش . والصواب : رفاهية (بفتح الياء) العيش ، او رفاهته ، أو رفهنيته (بضم الراء وفتح الفاء وتسكين الهاء وكسر النون وفتح الياء) . أي : خفض العيش ولينه .

رفته

ويقولون : رفتت الحكومة فلانا من خدمتها . والصواب : سرحته (بتشديد الراء المفتوحة) ، او عزلته . لان معنى : رفت الشيء يرفته (بضم الفاء وكسرها) رفتا (بفتح الراء وتسكين الفاء) ورفته (بكسر الراء وفتحها وتسكين الفاء) : كسره ودقه . رفت العظم : صار رفاتا. رفت الشيء : اندق او انقطع . رفت فلان : طحن الرفت (بضم ففتح) وهو التبن .

ترافع الى القاضي

ويقولون : ترافع المحامي الى القاضي . أي رفع اليه قصته او رفيعته (الرفيعة هي ما تسميه العامة عريضة او استدعاء) . والصواب : ترافع المحاميان ، او الخصمان ، او الخصوم الى القاضي ، لان جميع الافعال التي على وزن (تفاعل) مثل : (ترافع) ، هي افعال تقتضي المشاركة .

ارفقته بفلان

ويقولون : ارفقت فلانا بفلان . والصواب : اصحبته فلانا . او : جعلت فلانا يرافقه ، او جعلته رفيقا له ، او في رفقته (بضم الراء وتسكين الفاء) .

وللفعل (أرفق) معنيان :

١ ـ أرفقه : نفعه .

٢ ـ أرفقه : رفق به ، او ترفق به : لطف ولم يعنف .

الخبز المرقوق

ويطلقون على الخبز المنبسط الرقيق اسم : الخبز المرقوق. والصواب: خبز رقاق ، واحدته : رقاقة (بضم الراء في كلتيهما) . او خبز رقاق (بكسر الراء) ، مفرده : مرقق . اما (المرقوق) فهو العبد المملوك .

الرقم (٧)

ويقولون : الرقم (٧) او (٨) (بفتح الراء والقاف) . والصواب : الرقم (بفتح الراء وتسكين القاف) . ويقصد بالرقم (بفتح الراء وتسكين القاف) هنا : ما يطلقه الحسابيون على علامات الاعداد ، وهي من واحد الى تسعة ، ويتناول الصفر ايضا . ويقال لهما الارقام الهندية . وقد اطلق مجمع دمشق في الجدول (١٨) ، كلمة (رقم)

على علامات الاعداد هذه . اما الرقم (بفتح الراء والقاف) فهو :
١ ـ لون الارقم ، وهو من أخبث الحيات .
٢ ـ الداهية .
٣ ـ موضع كانت تعمل فيه النصال .

اركن اليه

ويقولون : اركن اليه . والصواب : ركن اليه (بفتح الكاف) يركن (بضم الكاف) ويركن (بفتح الكاف) . وركن (بكسر الكاف) يركن ويركن (بفتح الكاف وضمها) ركونا (بضم الراء) وركانة (بفتح الراء) وركانية (بفتح الياء) : مال اليه وسكن واطمأن . راجع الآية ١١٤ من سورة هود .

جلس ليرتاح

ويقولون : مشى زيد ساعتين ، ثم جلس على حجر ليرتاح . والصواب: جلس ليستريح ، لان الفعل (ارتاح) يعني :
١ ـ ارتاح للمعروف ارتياحا : أحبه ومال اليه . ومنه قولهم : اريحي : اذا كان سخيا يرتاح للندى .
٢ ـ سر ونشط .
٣ ـ ارتاح الله له برحمته : انقذه من البلية .
٤ ـ ارتاح المعدم : سمحت نفسه ، وهان عليه البذل . والمعدم : هو الفقير . قال النابغة الجعدي يمدح ابن الزبير :

حكيت لنا الصديق لما وليتنا   وعثمان ، والفاروق فارتاح معدم

وقد اخطأ ابراهيم طوقان حين قال في رثاء موسى كاظم باشا الحسيني ، والد الشهيد عبد القادر الحسيني :

أفضى الرئيس الى ظلال نعيمه   وارتاح قلب بالقضية يخفق

روحي

ويقولون : هذا روحي وليس ماديا . والصواب : هذا روحاني (بضم الراء) نسبة الى روح ، وقد وردت مخالفة لقواعد النسبة . اما روحاني (بفتح الراء) ، فهي :
١ ـ الروحاني : المنسوب الى بلد اسمه (الروحاء) . وهذه النسبة على غير قياس ، كما يقول اللسان والتاج ومتن اللغة . وروحاوي (بفتح فسكون) كما يقول الصحاح .
٢ ـ مكان روحاني : طيب .

ارتاع على مستقبل اولاده

ويقولون : ارتاع فلان على مستقبل اولاده . والصواب : ارتاع من مستقبل اولاده ، او : لمستقبل اولاده . والارتياع : هو الخوف والفزع . و (ارتاع) للخبر ارتياعا : ارتاح اليه .

تروق له مطالعتها

يقولون : هذه أقاصيص تروق مطالعتها للاطفال . ولم يرق له هذا الامر . والصواب : تروق مطالعتها (بضم التاء) الاطفال (بفتح اللام)، ولم يرقه (بضم الراء) هذا الامر .
تقول : راقني الشيء يروقني روقا (بفتح الراء وتسكين الواو) وروقانا (بفتح الراء والواو) . وهو من المجاز . والمعنى : اعجبني ، فهو رائق وانا مروق (بفتح الميم) .

روى بالامر

ويقولون : روى بالامر ، اي : نظر فيه وتفكر . والصواب : روأ (بتشديد الواو) في الامر تروئة (بتسكين الراء وكسر الواو) وترويئا . او : روى (بتشديد الواو وبالالف المقصورة) في الامر تروية .
ومن معاني الفعل (روى) بفتح الراء وتضعيف الواو المفتوحة :
١ ـ تزود الماء ، ٢ ـ روى رأسه بالدهن : طراه .
٣ ـ روى ابله : جعلها تروى .
٤ ـ رواه الشعر : جعله يحفظه ليرويه عنه .
اما الروية (بفتح الراء وتشديدها ، وكسر الواو وفتح الياء المشددة) فهي : التفكر في الامر .

اروي كبدي

ويقولون : اريد ان اروي (بفتح الهمزة وتسكين الراء وكسر الواو) كبدي من دم الاعداء . والصواب : اريد ان اروي (بضم الهمزة وتسكين الراء) كبدي ... لان الفعل روي (بفتح الراء وكسر الواو) فعل لازم .
وروى لهم يروي (من باب ضرب) ريا وريا (بفتح الراء في الاول وكسرها في الثاني وتشديد الياء فيهما) : استقى لهم .
اما أرواه (بفتح الهمزة) يرويه (بضم ياء المضارعة) فمعناه : سقاه حتى شبع ، وهو فعل متعد . ويجوز ان نقول : رويت (بتشديد الواو وفتحها) كبدي ، اي : سقيتها .

ارتاب منه

ويقولون : ارتاب من الامر . والصواب : ارتاب في الامر ، أي : شك فيه . اما اذا كان المراد التهمة ، فنعدي الفعل بالباء ، ونقول : ارتاب به ، أي : اتهمه ، ورأى منه ما يريبه .

المريلة والميدع

ويسمون ما يقي ثوب الصبي من لعابه مريلة (بفتح الميم والياء) ، وقد جاء في معجم « متن اللغة » ان الصواب هو مريلة (بكسر الميم وفتح الياء) ، او مريول (بفتح الميم) ، من رال الصبي يريل (بفتح ياء المضارعة) ريالا (بكسر الراء) : سال لعابه .
اما الميدع (بكسر الميم وفتح الدال) فهو الثوب الذي نرتديه لصيانة ثوب آخر جديد . ومثله الميدعة (بكسر الميم وفتح الدال) والميداعة (بكسر الميم) .
وقد أطلق مجمع اللغة الملكي بمصر ، في الجدول رقم ٢٠٠ الميدعة (بكسر الميم وفتح الدال) على ما تلبسه المرأة في اوقات عملها .
اما الروال (بضم الراء) والراوول (وقد يهمزان) ، فهما لعاب الصبيان والدواب .

زحف على الارض

يقولون : زحف الجيش على الارض الى الحرب . والصواب : زحف الجيش الى الحرب ، لان الزحف لا يكون الا على الارض .

زخة من المطر

ويقولون : زخة من المطر . والصواب دفقة (بضم الدال وتسكين الفاء) من المطر ، او دفعة (مثل : طفقة) ، او شؤبوب .
وربما كانت الكلمة (زخة) محرفة عن مصدر المرة سحة ، من الفعل : سح (بفتح السين وتشديد الحاء) المطر : سال .
اما الزخة فهي احد مصدري الفعل : زخه يزخه (من باب نصر) زخا وزخة (بفتح الزاي وتشديد الخاء المفتوحة) . ومن معاني الفعل (زخ) :
١ ـ زخه : دفعه ، ٢ ـ زخه في قفاه : دفعه واخرجه .
٣ ـ زخه : اوقعه في وهدة من الارض .
٤ ـ زخ فلان : (أ) اغتاظ . (ب) غضب . (ج) حقد . (د) وثب . (هـ) سار سيرا عنيفا .
٥ ـ زخ فلان في السير والحفر : امعن فيهما .

صيدا ـ لبنان   محمد العدناني

عودة الى فنزويلا

فـؤاد الخشــن

الشويفات ــ لبنان



فرس الريح التي تعدو على قطن الغيوم
كبساط طار من بغداد وانساب على
سحب فوق مظلات النخيلات يعوم
خافقي كان على طياتها يجري انزلاقا
نازفا نزف دوالينا بآذار اندفاقا
ليد تقطع الاخصاب اعراق الكروم
فانا للناي عينان من الشوق تعافان الرقاد
تغمسان الهدب في الحلم السرابي وفي جمر السهاد

★

وفي درب الصعود الى
« كراكس » في ندى الصبح
زهــور استوائيه
بتزويق فراشات خرافيه
واسراب عصافيــر
تذرذر مخمل الريشات الوانا
وترقص فوق اغصان غدائرها
غدائرك التي تنثال تحنانا
وتغمرني بأجنحة حريرية
وذاك الشجر المنثور فوق مشارق « الافلا »
قبابا .. لم يزل ثمـلا
بهمسات جبيين
من الشرق يسيران شريدين
على عطر مناديل الضبابات المسائيه ؟

★

وضيعتنا التي عشنا
على امواج شاطئها
ولين رمالها البيضاء ، تسالني
رجوعا للذي كانـا
سنا جنات عينيك الربيعية
فينشر صمتي المحزون في الصحو الذي ينهل
غيمات رماديه !

★

سنعيد الامس يا مخفرة العينين
في يوم ... وان طال الزمان
ورحلنا عن جنـان
اسكرتنا بشذا « الاوركيد » طوعا واختيار
اذ دعتنا غابة الزيتون ...
نادانا عبير المهد من خلف البحار
فرجعنا واحتوانا بيتنا الريفي
انستنا اغاريد الصغار
غابة « الكوكو » والوان العصافير العجيبه
حيثما كنا نريق الدمع شوقا وحنين
للشويفات وازهار « الحواكير » الحبيبه !



الدكتور عبد السلام العجيلي

ساعة على الرصيف

بقلم حلمي محمد القاعود

* * *

معذرة لهذا العنوان ، فقد لفقتـه لاسجل انطباعي عن كتابين للاديب السوري الدكتور عبد السلام العجيلي ، وهما مجموعة قصص بعنوان « ساعة الملازم » وقصة طويلة بعنوان « رصيف العذراء السوداء » .

وكنت آمل ان اعالج كل واحد منهما على حدة ، بيد انني وجدت رابطة فكرة واحدة تكاد تسري في كل نتاج الدكتور العجيلي ، وهي رابطـة صنعتها ظروفه الفكرية ، ونشأته الثقافية ، ونظرته الآنية الى الحياة الواقعة والمستقبل المنتظر ..

نشأ الدكتور العجيلي نشأة عربية صميمة تنتمي الى الحياة البدوية بصلة القربى والبيئة ، وهي حياة القبيلة العربية بكل عاداتها وتقاليدها ولغتها وطباعها وطقوسها وقوانينها . ثم واكب اديبنا ركب الحياة الحضرية بالثقافة والتفاعل العملي .. وتجول في العالم الآخر بعيداً عن المنطقة العربية فزار بعض الدول الاوربية مثل فرنسا . واثر في حياته الفكرية انتماؤه الى واقع السياسة الوطنية والعربية في فترة من العمر حافلة ومثيرة . وكل هذا ساهم في التكوين الفكري والادبي للكاتب وجعل من انتاجه عصارة خالصة للشريط الحافل من حياته ، ويستطيع الدارس ان يستشف من خلال كل كلمة يكتبها طبيعة فكرة او صورة بيئته او يشم نكهة روحه العربية . ويمكننا حين نطرق الباب على كلماته ان نجد رؤيته الفكرية مصورة بوضوح وعمق .. وضوح البادية ذات السماء الصافية والشمس المشرقة والطبيعة كما هي برمالها الصفراء وصخورها الخشنة وحرارتها الملتهبة . وعمق الثقافة والفكرة الذي اكتسبه الكاتب من احتكاكه بالواقع من حوله .

واشعر ان الدكتور العجيلي في كتابيه « ساعة الملازم » و « رصيف العذراء السوداء » تؤرقه مشكلة الانتماء الى الواقع والخوف على الذات القومية .. انتماء تفرضه الاصالة ، وخوف تخلقه الظروف المتغيرة والتي نشأت عبر سنوات طويلة من الصراع العالمي والمحلي على الارض العربية لاذابتها وتمييعها .

والاصالة تفرض على الكاتب ان ينتمي الى واقعه وبيئته وان يضع روحه في مفرق الطرقات يراها السائر والعابر ، واضعا فيها كل امانيه تجاه المستقبل الذي سوف يأتي . والكاتب الاصيل تعكس روحه كل الاحاسيس والمشاعر والانفعالات التي تخلقها الظروف الموجودة في عالمه ، وتؤمن اليه ان يستوعب جزئياتها بكل السلبيات والايجابيات ليخلص الى استشراف القادم الجديد .

وخوف الكاتب على ذات قومه يجعله يهب وينهض الى التمسك بهذه الذات بما فيها من دفء وحنان يشعر انه براحة النفس وسكينة الروح وهدوء الفكر . وحين يشعر ان ذاته القومية معرضة للاذابة والتمييع ينسى كل شيء الا هي ، ويسخر كل امكانياته للدفاع عنها .. وتتجلى غريزة البقاء عندما يحدق الخطر ، وتنذر الاجواء بالشرور !

ولقد كان الدكتور العجيلي في اصالته وخوفه على ذاته صادقا كل الصدق ، وحافظا لقانون الزمن وتطوره ازاء واقعه وحاضره .. ومن ثم فقد جاءت قصصه معيارا امينا ورمزا حيا للتعبير عن الاصالة ، والتعبير عن الشخصية القومية والوطنية .

يقول : « من تصارع هاتين الحقيقتين : ضآلة شأن الانسان وكبريائه المكافحة ، يتألف موقف ابطال قصصي المتميز ، وبه تتوضح ارسخ معالم مذهبي في كتابة القصة » (1)

ومن هذا المنطلق نجد شخوص القصص تسعى بكل ما اوتيت نحو عالم افضل تتخلص عنده من الاثقال والاحمال التي تنوء تحتها وتئن . انها شخصيات تحاول وتحاول فتفشل او تنجح لا يهم ذلك ، ولكنها على كل حال تحاول ، والمحاولة في حد ذاتها ضرب من الكفاح

والصراع فريد .

الهروب من الحياة إلى الموت ومن الموت الى الحياة محاولة ، والتغلب على الواقع بالحلم محاولة ، والتخلص من القانون الوضعي بالقانون العرفي او القبلي محاولة ، وتخطي الواقع الى ما بعده محاولة ، وهذه المحاولات كلها انتفاضة على العفن الاجتماعي الذي يسود الواقع الالبم ، والذي يتمثل في قسوة الحياة وسيادة العادات البالية ، وبيروقراطية القانون وانهيار القيم الروحية ، ومزاحمة الجهل للعلم .. الخ .. وهذا النضال الذي تقوم به شخصيات الدكتور العجيلي انما هو ضرب من الانتماء والحفاظ على الذات القومية صافية ونقية ..

ونلاحظ هنا ان الذات القومية بكل معطياتها الانسانية والروحية تلح بشكل ملحوظ على خيال الكاتب ومنهجه ، ويرجع ذلك الى تشربه لروح البيئة وقدرته الفنية على نقل تجربة فريدة ومتميزة عن تجارب غيره من الكتاب والادباء . ولقد اختار للتعبير عن ذاته القومية مجالا رحبا وخصيبا في الفكرة والاسلوب سواء كان ذلك في قصته الطويلة او قصصه القصيرة او غيرها من الكتب شعرا ونثرا .

وفي قصته الطويلة « رصيف العذراء السوداء » استطاع الكاتب ان يعالج من خلال موضوع حساس للغاية قضية العرب الازلية في قرننا العشرين (٢) ، واعني بها قضية الالتقاء مع الغرب بحضارته المادية وزخرفها اللماع . ولقد تناول هذه القضية عدد كبير من الادباء العرب لعل آخرهم ، « الطيب صالح » الكاتب السوداني الشاب (٣) . وقد قام كل اديب بتناول القضية من جانب معين وزاوية فكرية خاصة ، بيد انها جميعا تتفق على زيف الحضارة المادية اذا لم يصاحبها انتعاش روحي ، وازدهار ديني ، ينبعث من هنا .. من الشرق العتيق ، مهبط الوحي ، ومبعث النور العظيم .

ورؤية الدكتور العجيلي لهذه القضية لم تكن بعيدة عن هذا الاجماع الادبي ، وان حلقت بالقضية على مستوى الانسانية الكبير . وهو يجد في الاطمئنان الروحي املا وخلاصا من القلق والبؤس والازمات « اما ماريا لينا فكانت في حماسها لمذهبها الجديد ـ الكاثولوكية ـ مسلمة نفسها الى تعاليمه والايمان بحكمة رجاله ، وعصمة احباره إلى درجة كان يضيق بها عباس ذرعا فيسائلها كيف تتناسى عقلها وثقافتها لتجد حقا غير قابل للنقاش قولا يقوله لها عرافها في كنيسة سان سولبيس المجاورة . ولكن ماريا لينا كانت تضحك وتقول لعباس : ان الظهر البراق لحضارة الغرب الآلية القائمة على العقل والثقافة يخفي وراءه قلقا وبؤسا وازمات روحية لا علاج لها الا باللجوء الى ملاذ روحي ... » (٤) .

ومن خلال هذا التصور يرى الكاتب ان معرفة الله ومحبته طريق الى ملء الفراغ الذي ولدته الحضارة الحديثة بمظهرها البراق . وملء الفراغ ينطلق من ها هنا .. من ارضنا العربية .. من ذاتنا القومية ومعطياتها وبما لها من مواريث روحية عظيمة . ولعل المعرفة التي يتحدث عنها الدكتور العجيلي هي المعرفة الشاملة مادية وروحية معا ، وقد نفهم ذلك حين يقول :

« ان الجهل هو اكثر ما يبعد الانسان عن ربه . عندنا يطلقون على كبار الصالحين لقب العارف بالله »(٥) .

وكما نرى فان نظرة الكاتب الى الاشياء نظرة منتمية الى واقعنا القومي وادراكه لحقائق التاريخ الانساني من حوله ، وهي نظرة تنبعث من الوفاء والحب الشديدين للارض التي نشأ عليها الكاتب وللخصائص التي تتميز بها خلقا وخلقا .. يعبر عن هذا الحب : « اما طبيعة بلادي فشمسها ساطعة تذيب كل لبس ، وترد كل شيء الى مقاييسه الاصلية وتفرض معرفة كل امر . كلما زادت معرفة المرء زادت قيمته ، وقمة المعرفة هو الله » (٦) .

ولا يخرج الكاتب عن دائرة الموضوعية إلى دائرة العاطفية المعزقة والتي طالما وصف بها عدد غير قليل من ادباء العربية ، ولا زالت تلصق بهم حتى اليوم ، فهو يطرح فكرته من خلال احداث موضوعية وشخوص عادية ليست بعيدة عن الواقع اليومي بأحداثه ومشكلاته ، والواقع النفسي بأزماته وتعثراته .

ولم يتجن على التاريخ ولم يظلمه بل عرضه في قصته كما هو دون تحريف : « لا غالب الا الله .. لقد استبدلوه بشعار اكثر جلبا للربح واقرب الى من يجيء اليهم وصديقته في آخر الليل .. لا شيء اجمل من الحب .! ما ابعد ما بين الشعارين » . (٧) .

التاريخ القديم المعبر عن الشرق وروحه المؤمنة « لا غالب الا الله » والتاريخ المعاصر وروحه السادرة في الحضارة المادية الخادعة « لا شيء اجمل من الحب » . لقد كان الكاتب منصفا للحقيقة والتاريخ رغم انطلاقه من

---

١ ـ ص ٣٠ من كتابه « اشياء شخصية » .

٢ ـ اوضحت سر هذه التسمية وعالجتها في دراسة بعنوان « موسم البحث عن هوية » وقد تنشر قريبا .

٣ ـ عالج الطيب صالح هذه القضية في روايته « موسم الهجرة الى الشمال » والتي كتبنا عنها الدراسة المشار اليها في الهامش السابق ، ومن الكتاب الذين عالجوا هذا الموضوع توفيق الحكيم ويحيى حقي وخضر نبوه وسليمان فياض وطه حسين ..

٤ ـ ص ١٥ ، ١٦ من قصة « رصيف العذراء السوداء » للدكتور العجيلي .

٥ ـ ص ٤٣ من القصة المشار اليها سابقا .

٦ ـ ص ٤٢ من القصة ذاتها .

٧ ـ ص ٣٧ من القصة ذاتها ايضا .

٨ ـ ص ٩١ من « ساعة الملازم » المجموعة القصصية للدكتور العجيلي .

الفقيد فتح الله الصقال

محمد عبد الغني حسن

* * *

الثكالى والمساكين اليتامى — فقدوا فيك من البر دعاما
لم تنم عينك عنهم لحظة — فلماذا اخترت عنهم ان تناما
أيها الراقد ! ما عودتهم — هذه الغفوة او هذا المناما
لم تطق صبرا على آلامهم — فالام الصبر يا فتح الاما
قم ! تر المقعد في اغلاله — يتمنى من مساعيك قياما
قم ! تجد من عصف الداء به — نسى الداء لديكم والسقاما
قم ! تجد من عبست أيامه — يلق في وجهك بشرا وابتساما
قم ! تجد من أظلمت أيامه — لا يرى في وجهك الضاحي ظلاما
قم ! تجد من فعل السن به — كاد ان يرجع بالعطف غلاما
قم ! ير المظلوم فيكم كهفه — ويجد اكرم من ذاد وحامى
قم ! نجد فيك العظامي الذي — فاق في الهمة والسعى «عصاما»
قم ! نجد فيك اديبا مبدعا — وخطيبا ينثر الدر كلاما (١)
هذه بعض نواحيك التي — كتب الدهر لها هذا الختاما

زاوية ذاتية .. ويؤكد رؤيته المنصفة حركات البحث والتحول التي يلجأ اليها كثير من الغربيين وتحولهم من مذهب الى مذهب ، ومن لا شيء الى عقيدة او فلسفة دينية او وضعية . وكأني بالدكتور العجيلي وهو يربت على الروح القومي خوفا وتحنانا وانتماء وسط هذا الجو المشحون .. يخاف عليها العوادي ، ويحن الى مجدها الغابر والقادم ، وينتمي الى واقعها وحاضرها بكل ما فيه من تناقضات ، ويمكننا ان نلمس شيئا في الحوار التالي :

« ـ هذا الضباب البغيض يحول بين عيني وبين ما تريد . لو رايت يا ماجي النجوم في الشرق ...

فرددت ماجي كلمته الاخيرة في همس : الشرق ؟

قال :

ـ نعم .. السماء يا عزيزتي في مصر شفافة ، في زرقة ماء الغدير الساكن ، وهي فوق دمشق كأنها قبة من بللور أخضر . وسماء اليونان شفافة داكنة في آن كأنها الفيروز » (٨) .

وقد لا يقصد الكاتب بتعبيراته الا اتساق الاسلوب مع الحدث ، والتناسب مع اللحظة الروائية ، بيد ان الاصالة دائما تطفو رغم كل شيء على السطح لتدل على جوهر الكاتب وحقيقة تفكيره ومدى نموه الادبي .

ان الاصالة مرتبطة ارتباطا وثيقا بانتماء الكاتب الى ذاته القومية ، وقلما نجد كاتبا نجح في دنيا الادب دون ان يعبر عن هذه الذات ويستوعب روحها استيعابا كاملا كما قدمنا ، ولعل النجاح الذي لقيه « نجيب محفوظ » يؤكد ما ذهبنا اليه ويبرهن عليه . ولقد سمعت من بعض الاخوة العرب في غير مصر انهم عرفوا القاهرة وتحسسوا كل درب فيها ، وشعروا بدبيب الحياة فوق شوارعها واحيائها من خلال ما كتبه نجيب .

وحين يجعل الكاتب الآخرين يعيشون في عالمه وفي دائرة ذاته فان هذا يعد كسبا كبيرا ونجاحا عظيما . ولا اكون مبالغا اذا قلت بدوري انني تعرفت على البادية وعلى الروح الذاتية فيها من خلال الدكتور عبد السلام العجيلي .. واعتقد ان معايشة الدكتور العجيلي وميلاده وإستيعابه لروح البادية مكنه من التعبير بالاصالة عن واقع متميز افتقدنا التعرف عليه في ادبنا العربي حتى سمعناه ورايناه فيما كتبه .

ويتميز الدكتور العجيلي بأسلوب عربي جزل فيه صفاء البادية وصلابة رمالها وان كان الاحتكاك الثقافي والتطور الزمني قد جعل من اسلوبه اكثر لينا وانسيابا خاصة في أعماله الاخيرة ..

واخيرا فانني عشت تجربة جديدة خرجت منها بانطباع عميق يقول لي : انك قرات لكاتب اصيل ذي تجربة ويملك القدرة الفنية المتكاملة . واتمنى له ان يعبر عن الواقع الراهن كما يحب ويريد .

مصر ـ مرقص بحيرة — حلمي محمد القاعود

عجبا ! شلت يمين شيدت   للندى حصنا ، وللفضل مقاما
عجبا ! شل لسان مدره   كان في الله وفي الحق حساما
عجبا ! عطل سمع مرهف   لم يكن يخطىء انات اليتامى
عجبا ! قوض صرح شامخ   زاد بالاحسان قدرا وتسامى
وخلا السامر من صاحبه   وانطوى السمار، وانفض الندامى
هذه الخيرات فينا لم تدم   لترينا ان لله الدواما

اكذا المحسن يطويه الردى   ويلاقى كالمسيئين الحماما
كلمة لله ما اروعها   يتساوى الناس في الموت مقاما
والذي يبقى من الفضل لنا   اننا متنا كما عشنا كراما

ايها المحسن في الله ! فلم   يلتمس شكرا، ولم يبغ وساما
كنت سباقا الى الخير كما   كنت للمعروف والبر اماما
تعرف الحاجة في أصحابها   لم تكلفهم شكاة واهتضاما
وتبث الخير لم تعرف له   بالديانات اختلافا وانقساما
تسع الناس بفضل غامر   يسع الدنيا عراقا وشآما
لم يفرق مذهبا عن مذهب   فهو ينصب انهمارا وانسجاما
كالغمام السمح لو خص قبيلا   بالندى والفيض ما كان غماما

لست انساك وقد هيات لي   زورة أجلو(٢) مساعيك العظاما
جلت في المأوى وفي ابهائه   معكم فامتلأ المأوى زحاما
كل من القى زمان عبئه   فوقه القى بكفيك الزماما
فهو مما نقل الدهر به   لم يعد الا عروقا وعظاما
جعدت صلب الليالي وجهه   وتولته انهزاما وانهداما
فاذا ابصرته في يومه   لم تجد من أمسه الا حطاما
يجد الراحة في أعطافكم   ويرى عندك بردا وسلاما
كنت بالمرصاد للدهر ... فلم   يرخ بالاحداث للناس لجاما
فاذا ما مس بالضيم امرؤ   ضمنت آلاؤكم ان لا يضاما

يا مفيضا بالندى في زمن   صار فيه الخير في الناس جهاما
شح فيه البر حتى لم يعد   يمسك اللقمة او يروي الاواما
فرقت كفك في الناس الندى   لم تدع خلفا ، ولم تترك اماما
تجد المعروف دينا واجبا   وترى الاحسان فرضا ولزاما
يشتكي قلبك يوما لو ترى   شاكيا من دهره او مستضاما

ايها الباذل من معروفه   مننا كبرى ، وآلاء جساما
قم تجد جمع المساكين هنا   نكسوا بالبؤس من بعدك هاما
مات من لم يغض عنهم عينه   لحظة ، او كان عنهم يتعامى
من لهم يا ملجأ العز ، ويا   سند الضعف، ويا كهف اليتامى
انا لا اخشى عليهم فقدكم   عاش معروفك في الدنيا وداما

---

١ ـ اشتهر المرحوم فتح الله الصقال بالخطابة ، وقد تولى الدفاع عن الزعيم ابراهيم هنانو امام المحكمة العسكرية الفرنسية ، كما الف بضعة كتب رصينة منها « من ذكرياتي في المحاماة » و « في العالم الجديد » و « أوربا امس واليوم » و « ثلاثون سنة في خدمة الاحسان » و « انسانيون » ، ٢ ـ زار الشاعر حلب فدعاه الفقيد الى زيارة مستشفى الكلمة ، وملجأ العجائز وهما من مشروعاته الخيرية النافعة .

القاهرة   محمد عبد الغني حسن



الدكتورة ليونور مارتينز مارتان

زوجان اسبانيان ومستشرقان عربيان

بقلم الدكتور زكي المحاسني

* * *

طرق ساعي البريد بابي واعطاني رسالة جوية من اسبانيا، وفيما كنت اوقع على دفتره بتسلمها ، كان فكري منطلقا الى مدريد في حي « زرزل » جوالا متسائلا عند دارة صديقي زعيم أدباء الاسبان في القرن العشرين الدكتور رامون مينانديز بيدال ، رئيس المجمع الادبي والتاريخي بحاضرة بلاده ، وقد رحت آئذ احاور نفسي :

ـ انه توفي منذ عام بعد ان عاش مئة سنة .

ـ لعلها رسالة من كاتم سره .

ولكن ، كل هذا الخيال ذاب حين تبينت ان الرسالة من « برشلونة » ومن الدكتورة ليونور مارتينز مارتان . وسرعان ما خلدت الى غرفة كتبي ، ففتحتها ، واذا هي بخط عربي مبين وعبارة نقية وفصل خطاب . وجدتها بقلم هذه الاديبة المستشرقة ، تعلمني فيها بأنها وقفت على اشعار لي واخبار عني ، وقد انشأت فيّ دراسة بمقال بالاسبانية ، فهي سترسله الي في كتاب تعده بلغة قومها . والذي حمل الى نفسي الرضا إنها كتبت بالعربية عنوان منزلي بدمشق مفصلا . فقلت يا لله ، من اين حصلت على عنواني ، وجعلت اثني بيني وبين نفسي على شهامتها الادبية ووجدانها الناضر الطهور ونقاها في التاليف .

وانطلق خاطري الى رسالة عتاب عاتبت بها صديقي المستشرق الفرنسي المشهور « جاك بيرك » الاستاذ بكلية فرانسا ، اذ عرفته مليا وعرف اعمالي الادبية حين كنت ملحقا ثقافيا بسفارتنا السورية بالقاهرة وامتدت صحبتنا عاما اذ كان خبيرا دوليا في مركز « سرس الليان » الذي اقامته منظمة اليونسكو بمصر وسمته « مركز التربية الاساسية في الشرق » عاتبته لاهماله اياي في مجموعة وضعها بالفرنسية عن الادباء المعاصرين والشعراء في بعض العواصم العربية ، فارسل الي يعتذر اشد الاعتذار ، اذ لم يكن منه ذلك أهمالا وانما كان سهوا . وحين جاء دمشق منذ خمس سنوات احضرني محاضرته في القاعة العربية بالمتحف الوطني بدمشق ، وقد علقت عليها معجبا بعد انتهائه منها . وقد اقبل علي اقبالا كبيرا وطلب الي ان ارسل اليه بنماذج من شعري لاصدارها في كتاب له جديد .

لكني بادرت مسرعا مستجيبا للمستشرقة الاديبة ليونور ، واهديت اليها من كتبي واتصلت المراسلة بيننا ، فاذا هي دكتورة في الفلسفة والادب وتعيش مع زوجها الاديب الكبير المستشرق بالعربية الدكتور خوان برنيت جينير . وتبينت من صورتها انها شابة حسناء يهنأ بها زوجها ، وان لها ثلاث طفلات كبراهن في السابعة . ثم ارسلت الي مجموعة من مؤلفاتها وآثار زوجها وبين هذه الكتب سفر له نفيس انيق الطباعة عنوانه « ليتيرا تورا آرابيا » وقد عرفت في مراجعة هذه الكتب النفائس ان الاديبة وزوجها استاذان للغة العربية وآدابها وللفلسفة الاسلامية بكلية الآداب والفلسفة بجامعة برشلونة ، وان زوجها عضو عامل في المجمع الادبي والفلسفي ببرشلونة.

وكنت مريضا ، فزاد تألمي حين اعلمتني انها مقبلة على اجراء جراحة لاستئصال مرارتها فكتبت اليها حانقا ثائرا على تلك الحصيات اللواتي حللن ضيفات ثقيلات على كبدها الغالية .

وانساب شهران وانا عليها قلق كما كان قلقي على اختي « منيرة » التي كانت قد اصيبت بمثل ذلك ، حتى ورد علي الكتاب يحمل الى نفسي السرور بابلال اختي الروحية الاسبانية ، فانطلق لساني بالحمد لله ، اذ وجدتها وزوجها الجليل راعيين للغة القرآن في ديار الاندلس وكأنهما يجددان عهود قرطبة وغرناطة وسائر حواضر الاندلس في عصور ازدهارها العربي الغابر .

وكنت قد كتبت الى ذلك الصديق العظيم الرئيس رامون اقول له لحفاوته بالعربية وتاريخها :

ـ عزيزي ، لو ان مبضعا يحك جلدك لنبع من تحته الدم العربي ..

فالهمتني هذه القولة قصيدة حييت بها الدكتورة ليونور وزوجها الدكتور خوان برنيت نشرتها في مجلة « الاديب » البيروتية ـ لشهر اغسطس ١٩٧٠ ـ جعلت

عنوانها « يا بنت أندلس » قلت فيها :

لولا مزاياك مـا كانت مزايانـا ... ولا المودة قـد باهت بذكرانـا
روح العروبية الباقـي بأنـدلس ... هفـا الينـا وبالانساب نادانا
يا بنت اندلس مالي اليك هـوى ... الا الحجى والنهى يسري بمسرانا
نادمت كتبك حتى قلت ويح دمـي ... انت الاديبة فـي معسول دنيانـا
حسناء يـا منية الدنيا وبهجتها ... سما اليـك خيـال كان معوانـا
لو استطعت طويت الريح منفردا ... بي الجناح ، وجئت الدار ولهانا
في «برشلونة» احبابي فوا أسفي ... أني مهيض جنـاح بـت حيرانـا
شرقية انت في استشراق عالمـة ... كتبت «بالضاد» حتى جئت عدنانا
وزوجك الندب علام المـلا وبـه ... تفاخر العـرب العربـاء اسبانـا
شقي بمبضع طب قيـد انملـة ... بجسمك الطاهـر المملوء ايمانـا
ينبع دم عربـي مـلء طاقتـه ... عناصر حملت روحـا وريحانـا

وعرفت بفكر باطنـي ان الـذي دل المستشرقة الحسناء علي وارسل اليها بعنواني هـو صديق العمر واديب الشرق اخي الاستاذ البير أديب وثبت عندي ذلك من غير ان اسأله ، وجود دراسة عنه في مؤلف الدكتور برنيت ، زوج المستشرقة ليونور .

وقد جلت مبتهجا ، في مؤلف هذا المستشرق الفذ الذي كتبه بالاسبانية وسماه « الادب العربي » فانه جال فيه جولات عميقة في الكلام على تاريخ الادب العربي بادئا فيه من اعماق الجاهلية ومنحدرا بـه الى صدر الاسلام فالعصر الاموي ثـم العصور العباسية والاندلسية ، حتى حط رحاله فيه عند العصر الحديث ، وكان في كلامه على ما قبل ذلك يذكر الشعراء والادباء والفلاسفة ويترحـم اطرافا من آثارهم في النثر والشعر ، لكنه تبسط فـي القول حين بلغ العصر الحاضر فجعل كلامه على الادباء المعاصرين معجبا ومقدرا كل التقدير ومأخـوذا بآثار افذاذهم ، فتكلم على شاعر العصر ، الخالد احمد شوقي واثره في الوجود العربي ثم قفى بكلامه علـى عميد ادب العصر الدكتور طه حسين ثم على القاص الكبير محمـود تيمور ثم على توفيق الحكيم فخليـل مطـران وحافظ ابراهيم فايليا ابي ماضي ، ثـم عقـد كلاما علـى الكاتب المشهور ميخائيل نعيمة ونشر رسالة لـه بخطه كـان ارسلها الى زوجة هذا المؤلف النابغ بتاريخ ٢٠ أيار ١٩٥٦ ثم مارس القول في تقدير الاستاذ البير اديب ورسالـة ادبه واثره في المدرسة الفكرية المعاصرة في دنيا العرب واثر مجلة « الاديب » قارنـا هـذه الدراسات بصور فوتوغرافية لهؤلاء فحسب وحفيظا على ذكر كـل اديب وشاعر معروف في ديار العروبة . وقـد عني ـ على طريقة المستشرقين ـ بتركيز الفكرة دون انحراف وبحشد المصادر والمراجع في منهج علمي وثبت للاعلام رتيب .

وللدكتور خوان برنيت ، دراسة بالاسبانية عـن « عنترة بن شداد » ويسمي الغربيون هذا الشاعر البطل باسم « عنتر » فتناول سيرتـه وبطولته وشعره وبـين مكانته في القصص الشعبي كما اعجب طويـلا بسير البطولة العربية عند الشعراء ، وهـي محاضرة القاها في الجامعة .

ومن جميل ما اتفق ان المستشرقة ليونـور حين مثلت امام لجنة امتحانهـا للدكتـوراه في الادب العربي والفلسفة ، كان احد الاعضاء الخمسة الممتحنين هـو الدكتور « خوان برنيت » عام ١٩٥٥ الذي غـدا زوجها المفضل .

وتصدر في مدريد مجلة مشهورة باسم (ليتيراتورا) تولت الدكتورة ليونـور كتابة فصول فيهـا عـن الادب العربي والادباء الافذاذ المعاصرين ومنهـم احمـد شوقي وطه حسين ومحمود تيمور وابي ماضي مع نشر الصورة لبعضهم وذكرت طائفة كبيرة من الادباء المرموقين .

ولها رسالة عن الشاعرة العراقيـة المعاصرة « نازك الملائكة » طبعتها المؤسسة الثقافية الاسبانية بتطوان سنة ١٩٦٤ ترجمت فيها قصيدة الى الاسبانية من مجموعة لها اصدرتها مجلة « الاداب » البيروتية .

ومن آثار هذه المستشرقية الباقعة ترجمتها شعـر للشاعر محمد الصباغ التي سماها « انا والقمر » وقـد كان من اعمالها الادبية الجاهـدة ترجمتها لقصائد نابغـة الادب المعاصر الصديق ميخائيل نعيمة في ديوانه «همس الجفون » بلغتها الكاستيلانية التي تمنى الاستاذ نعيمـة لو عرف هذه اللغة فتذوق شعره فيهـا بأسلوب الكاتبـة وفي لغتها البليغة وترجمتها الشعرية الساحرة .

وهكذا اعود الى ذكر المأسوف على فقده الدكتـور رامون مينانديز ، اذ كانت الادبية الكاملة ليونـور طلبت الي ان اسمح لها لكي تترجم كلامي في تأبينـه بالحفل الكبير الذي اقامه بدمشق صديقـي الاديـب الاسباني الموهوب الاستاذ « خوليان غوميس ايزكيير دو » مدير دار الثقافة الاسبانية بدمشق ، لذكـرى اديب قومـه رامون ناظم الملحمة الاسبانية فـي شخصية السيـد الكامبياذور ، فكتبت لادبية العرب الاسبانية :

اختي الروحية ، ليونور مارتينـز مارتـان ، تقولين سامحك الله : ان اسمح لك ، وانما اهدي اليك ـ لادبك الجم وخلقك الاكرم ـ روحي وابذل دمي ، يا حظوة الادب العربي في ديار الاسبان والاندلس الجديدة .

دمشق — زكي المحاسني

الليل الازرق

عيناي تسلمنا بالامس رسالة من عينيك
ولأني ما زلت غريراً
ألقيت على الشط همومي وسبحت
الليل الازرق أعمق
من كل بحار الارض
ولهذا .. أخشى الا أطفو قط ..؟

اسكندرية — عبد العليم القباني

وركز جهاز الاستقبال على اذنيه ثم راح يصيخ السمع الى ما كان يجري على سطح القمر بين التجار الذين سافروا اليه لحضور جلسة مزاده العلني .

كانت المروج الخضراء تحيط بالمدينة من كل جانب ، وكان القمر، موضوع المزاد ، قد تسلق كبد السماء واخذ يرسل اشعته الفضية فتنعكس على الحشائش الخضراء وعلى اسطحة المنازل البارزة من بعيد .

وبدا في الطريق شرطي طويل القامة ، قادم من المدينة وهو يخبط نعليه كالطبل :

– من القادم ؟

– شرطي ... وانت .

– انا تاجر من المدينة .

– وماذا تفعل ؟

– التقط احاديث المزاودين الذين سافروا الى القمر .

– وماذا يعنيك من هذا الامر التافه .

– مجرد رغبة في الحاق القمر بالوطن .. ثم الم تعلم انني احد المشتركين في المزاد .

– قرات في الصحف نبأ بيع القمر في المزاد ولكنني لم اعثر على اسمك بين المزاودين .

– آثرت ان ادخل المزاد بواسطة تاجر سوري .

– وماذا تخشى لو افصحت عن اسمك ؟.

– اخشى عدة امور .. لا مجال الآن لتفصيلها .

– معنى ذلك انك تملك ثروة طائلة ..

– ربما كانت طائلة .. وربما كانت غير ذلك ، فالمهم انني ارغب في شراء القمر ..

– اعتقد انك تعيش في لحظات من الوهم الكبير .

– اذا ما وصلتني كبسولة من الفضاء وفيها سند تمليك القمر . فعند ذلك سوف تعلم اني لا اعيش في لحظات وهم .

– وكيف تمكنت من الاشتراك في مزاد بيع القمر ..

– علمت اثناء تجوالي بين اقطار العالم ان هيئة دولية طرحت القمر للبيع تجنبا لاخطار المنازعة على ملكيته وقد وجدت انه ينبغي لبلدنا ان يتمثل في هذا المزاد تعبيرا عن وعينا الاقتصادي والعلمي .

– لا شك ان ثروتك كبيرة وهائلة ؟

– ليس بالقدر الذي تتصوره ، ولكني استعين على خبرتي وتفكيري .. فالتجارة فن وتجربة ..

– وكم ارسلت الى القمر نقدا ؟.

– مقدارا يكفي لدفع العربون .

القمر.. لنا

بقلم عبد الرحمن البيك

– وباقي القيمة ؟..

– اعطيت ممثلي شيكا بخمسين مليارا امرته بتسليمه الى لجنة بيع القمر فور رسو المزاد علينا .

– وهل استحصلت على رخصة بشأن اخراج العملة ؟..

– طبعا لا .. فانا اعتقد ان مثل هذه الصفقة ليست بحاجة الى ترخيص .

– كيف تعتقد هذا ، الا تعلم اننا نسير على هدي خطة اقتصادية تشرف عليها الدولة ؟..

– طبعا اعلم هذا ..



– اذن فكيف تقدم على اخراج العملة بدون ان تستحصل على رخصة من وزارة الاقتصاد ..

– لقد اعتقدت انه يجب ان اتخطى المراسم والاجراءات الروتينية في مسالة بالغة الخطورة كمسالة شراء القمر .

– لا .. ان استيراد الخشب والبطاطا واستيراد الاجرام السماوية سواء امام القانون .

– ليس هناك نص على هذا .. فالاصناف التي حظر القانون استيرادها وردت حصرا ...

– ليس هناك حصر .. فكل انتاج سواء من الارض او من السماء لا يجوز استيراده الا بموافقة .

– ولكن هل تعتقد ان اخراج الثروة الى القمر يعتبر تهريبا ؟..

– طبعا ..

– ولكن القانون يحظر اخراج العملة من الارض والى الارض .. اما اخراج الثروة من الارض الى السماء فهذا ما لم يرد عليه نص ..

– اذن فانت تستغل قصور القانون والتشريع .

– اني لا استغل ذلك الا بدافع المصلحة الوطنية .

– واية مصلحة وطنية هذه ، هل الوطن بحاجة الى قمر ام الى قمح.

– ان الوطن بحاجة الى مجاراة العالم ..

– فلنجاره بالشبع .

– بل لنجاره في كل شيء .

– على اية حال فانت موقوف ابتداء من هذه الساعة .

– ولماذا .

– لانك خالفت الانظمة المرعية .

– لقد توقعت من الدولة حمايتي .. واذ بها تحتجز حريتي .

– ان الدولة لا تحمي مصالحك الخاصة وهي لا تقف مكتوفة اليدين تجاه تبذير ثروة الوطن تحت ستار مشاريع شراء الكواكب .

★

ادخل الزنزانة واحتجزت حريته، ومع ذلك فقد اخذ يطل من نافذتها ذات القضبان الحديدية على المروج الخضراء التي تحيط بالمدينة من كل جانب، ثم ما لبث حتى اخذ يرنو بابصاره الى السماء ... الى القمر الذي اخذ يكبر ويكبر حتى لكأن حوافيه تمس جوانب الافق. ثم رأى اشعته الفضية التي تغمر الطبيعة الحالمة تنعكس ايضا على الشرطي الذي اقام نفسه حارسا عليه. وسأل الشرطي :

ـ هل لك ان تناولني سند تمليك القمر اذا ما وصلت الكبسولة من الفضاء.

ـ اعتقد ان ممثلك سوف يتواطأ مع المحتكرين العالميين وسوف يرسل اليك كبسولة فيها خبر فقده الشيك اثناء تزاحم المزاودين وتناكبهم.

ـ هذا غير محتمل .. اني انصحك ان تدقق في السماء لمراقبة وصول الكبسولة ..

ـ ساعمل بنصيحتك ان لم يغلبني النعاس ..

ـ اذا كنت ممن يغلبهم النعاس اثناء القيام بوظيفتهم فانا التمس منك اطلاق سراحي بكفالة نقدية ..

ـ هذا منطق التجار .. العملة هي معيار الحياة.

ـ اذن هل تقبل بملكية نصف القمر مقابل ان تطلق سراحي.

ـ اراك تلجأ الى الرشوة او لست تقدم على ذلك من اجل مصالحك الخاصة ..

ـ وما هي مصالحي الخاصة كما تظن ؟..

ـ استملاك مزيد من الكواكب السيارة.

ـ وما رايك اذا برهنت لك على ان استملاك الكواكب يقضي على المشاكل الاجتماعية.

ـ وكيف يكون ذلك ؟...

ـ يكون ذلك بشراء كواكب ذات مناخ قريب من مناخ الارض حيث يجري استغلالها واستثمار عناصرها في صالح البشرية ..

ـ ان ذلك مستحيل ...

ـ انا اقرب اليك الامر ... فالقمر ـ كما ارسم انا مستقبله ـ يمكن جذبه الى نصف المسافة من الارض.

وهذا يساعد على تزويد نصف الكرة الارضية باشعة قد تغني عن الطاقة الكهربائية .. هذا من جهة. ومن جهة اخرى فان السفر اليه يمسي اقل كلفة، ناهيك عن الفوائد التي تنجم عن استغلال سطحه في الزراعة والتوطين فيما اذا استكشف العلماء طريقة لاقلمته مع طبيعة الارض ..

ـ اذن فهناك احتمال واقعي يجعلك تعتقد بان استملاك القمر يدر ارباحا طائلة ..

ـ ليس من شك ... ولهذا يتنافس عليه العالم ..

ـ اذا كان الامر كذلك ... فان الدولة هي التي يجب ان تمتلك القمر لان في ذلك انصافا له من جهة وازالة للاستغلال الجشع فيما اذا امتلكه الافراد من جهة اخرى..

ـ ولماذا تتحمل الدولة مسؤولية ادارته بمفردها ..

ـ وهل تشك في مقدرتها على ذلك ؟ ..

ـ اجل .. فلا بد لها من ان تتعاون مع الافراد.

ـ على اية حال فان التشريع لا يسمح بذلك.

ـ الا يمكن التنازل عن التشريع الذي يتعارض مع طريقة ادارة واستثمار القمر.

ـ كلا .. ويجب ان تبرق الى وكيلك في القمر بان يزاود منذ الآن باسم الدولة ...

ـ ولماذا افعل هذا ...

ـ لان الدولة هي المسؤولة عن الاستيراد ..

ـ وماذا عن حقوقي وامتيازاتي؟.

ـ ساطلق سراحك واعيد اليك حريتك .. الا يكفيك هذا ..

يعتبر الانسان ناجحا اذا اخذ من الحياة اكثر مما يعطي، ولكنه يكون كبيرا اذا اعطى اكثر مما اخذ.

اينشتين

ـ وماذا عن العربون الذي دفعته للدخول في المزاودة.

ـ ستصدر الدولة سندا اسميا به .. ولكن لماذا لا تتعاقد معنا .. فما احوجنا الى امثالك من العباقرة الذين يعرفون طرق استثمار الكواكب ..

ـ وكم تدفع لي شهريا ؟..

ـ خمسمائة ...

ـ هذا .. كثير ...

ـ معنى ذلك اننا اتفقنا.

ولم يحر جوابا بل نظر الى القمر متحسرا .. ثم هجس في نفسه :

ـ « ولم لا تتفق اني ادفع قمرا مقابل حريتي ».

وراح يحدق في الفضاء بامل وصول الكبسولة.

نام الشرطي تحت نافذة الزنزانة وغمره العشب الاخضر .. وما ان مضت الساعات الطوال حتى التمع جسم لماعا وهاجا وهو يخطم الفضاء ويهبط على الارض ..

وصاح من نافذته كالمجنون ...

ـ الكبسولة فيها سند التمليك .. القمر لنا .. القمر لنا .. هيا ايها الشرطي استيقظ .. استيقظ

ـ اين انت ؟..

ومر بالقرب من الكبسولة اغراب في ازياء مختلفة تفحصوا الكبسولة ثم اخفوها في ثنايا ثيابهم .. ومضوا ... بينما بقي هو في الزنزانة ينادي ...

حلب **عبد الرحمن البيك**

الراعي

يجري مع الدنيا الى قصد ... في لافح للقنط ممتد
وحياله ترعى على ثقة ... أغنامه في السفح والنجد
أنست براعيها لما لمست ... بحماه من حدب ومن ود
وجرت على الآكام راتعة ... في مربع عطر الشذا رغد
تجتر هانئة وصاحبها ... في ربقة الحرمان والجهد
قرت بلابلها لدن برئت ... عين لراعيها من الحقد
جادت على الحرمان ما ملكت ... كفاه من دثر ومن رفد
وأسى جراح قطيعه بيد ... وجراحه في القلب والزند

دنياه ما فتئت لواعجها ... في صدره مشبوبة الوقد
يسعى ويكدح غير مقتصد ... أيامه في الحر والبرد
ويسير من سهل الى جبل ... بعزيمة قدت من الصلد
تلقاه والحرمان ما فتئا ... كالنصل آنس صحبة الغمد
متلازمان يدا تشد يدا ... فكانما جريا الى وعد
دنياه مترعة بشوب جوى ... وحزازة مسنونة الحد
حمم الهجير بكل منعرج ... تنداح في جزر وفي مد
غمر ترامى غير متئد ... في شاسع بلوافح تردي

الف الاذى والنفس ما ألفت ... في العيش من صاب ومن شهد
حمد الحياة على ضراوتها ... وهو الشقي يحن للقد
وأشاح عن ترف وبهرجة ... للعيش حين أشاح من زهد
عكازه هي كل ثروته ... في عالم عار عن المجد
قامت مقام الدرع تحرسه ... دون العدى في السلم والجد
يرمي بها في كل معترك ... فيصيب بين النحر والعقد
فكأنها بيمينه رصد ... يرمي بها الاعداء عن عمد
وتراه يستذري برفرفها ... في كل منزلق ويستهدي

وحياله أقعى على نشز ... كلب عظيم القد كالطود
أذناه مرهفتان حدهما ... للنأمة السجواء عن بعد
تتلقطان الصوت في حذر ... حذر الصيارف بهرج النقد
وكأنما العينان في حلك ... نجمان وضاءان من عقد
متبتل في الامن تحسبه ... لدماثة عرضت أخا زهد
ويكر صاعقة مجلجلة ... ان كر عند الشد والطرد

دنيا الورى ما شع من أمل ... في مقلة حوراء او خد
وحياته شجن ومخمصة ... ووساوس في النفس لا تجدي

دمشق

عدنان مردم بك



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية
ورئيس تحرير مجلة « رسالة المعلم »

* * *

واحد من الرواد

في جزيرة ارواد .. البقعة الصغيرة المتواضعة ، المطلة على مدينة طرطوس في الساحل السوري الجميل ، والواقعة منها على (مرمى السهم للرجل الشديد) كما قال اسلافنا الغابرون ..

في هذه الجزيرة .. وفوق الرابية التي تتوسطها بالذات ، قلعة حصينة شاهقة كان يتخذها الاتراك سجنا للاحرار ، ثم سار على غرارهم في ذلك الفرنسيون الذين خلفوهم من بعد ..

وعلى الجدران في الغرف المظلمة الرطيبة في هذه القلعة ، تقرأ اسماء الاحرار الذين سجنوا هناك ممن ثاروا على الظلم والطغيان خلال العهدين البغيضين ، وتقرأ الى جانب ذلك الكثير من هتافاتهم الملتهبة حماسا ووطنية . وخلال هذا تطالعك بحروف ما تزال واضحة مقروءة انشودة كانوا يتغنون بها ، فترتج لاصواتهم جنبات القلعة ، ثم لا تلبث ان تبلغ اسماع من حولها من اهل الجزيرة ، فاذا هم ينطلقون مع اولئك المنشدين في انشادهم فيهتفون بالصوت الجهير :

يا ظلام السجن خيم   اننا نهوى الظلاما !
ليس بعد الليل الا   فجر مجد يتسامى ..

وكان معظم اولئك السجناء في جزيرة ارواد من طلاب الوحدة العربية ، تلك الوحدة التي ينتظم بها للعرب من المحيط الى الخليج دولة قوية جبارة ، لها اراد واحدة ، وكلمة واحدة ، وصف واحد ، تستطيع معه ان تقول وتفعل . وكان هؤلاء السجناء هم بعض من كتبت لهم الحياة ، من ذلك الرهط المبارك ، من رفاق الجهاد الباسل المرير ، الذي لقي الكثيرون منهم مصارعهم في اواخر العهد التركي ، في صباح ذلك اليوم الدامي ، يوم السادس من ايار وما زلنا نستعيد ذكراه في كل عام .

وان من حقهم علينا ان نستعيد تلك الذكرى ، لتقدر اجيالنا المتلاحقة عظم الدعوة التي دعوا اليها ، والثورة التي بذلوا انفسهم من اجلها ، فنواصل مسيرتهم ، ويمضي الخلف منا على غرار ذلك السلف ، لنحقق في نهاية المطاف مطلبهم العزيز الغالي ..

اليسوا هم الرواد في ذلك السبيل ، الم يحملوا بايديهم الفتية مشاعل الثورة على الاستعمار ، والانطلاق الى الحرية في الظلمة الحالكة ، ظلمة البغي والتعسف والاستبداد ، حين كانت الدعوة الى العروبة تعتبر في نظر سفاح الترك ــ يومها ــ خيانة عظمى ؟!

كان اولئك الابطال ــ في تاريخنا الحديث ــ هم البناة الذين وضعوا اساس نهضتنا . وان لهم في اعناقنا دينا ، يوجب علينا ان نذكرهم مع الكثير من التبجيل والتقدير والاحترام .

وفي الامس القريب .. وفي نقابة المحامين في عمان ، تداعى خطباء كثيرون من الاردن ومن اقطار عربية مختلفة ، ليكرموا واحدا من هؤلاء الابطال ، هو الاستاذ عوني عبد الهادي . وهناك .. وفي يوم ذكرى الشهداء ، كنا نستعرض مع اولئك الخطباء ، الكثير الذي لا يحصى من مواقف البذل والتضحية والفداء ، التي كان يقفها الفقيد الغالي مع رفاقه في الجهاد داخل الوطن العربي وخارجه ، اذ يحمل من الاعباء الجسام ما تنوء به الجبال ، فكنا جميعا هناك نقف وجلين خاشعين وقفة الاجلال والاكبار ، ولسان حالنا يردد :

وتعظم في عين الصغيرة صغيرة   وتصغر في عين العظيم العظائم

وكان عوني ذلك العظيم من غير شك ..

ففي ذمة الله ورضوانه ابا مازن ، مضيت فقيدا واحتسبت شهيدا ، فلقد كان لك من جهادك في سبيل الله ، وفي سبيل امتك ، ما ينزلك منازل الشهداء ، ويحلك في مراتب الطيبين الابرار ..

امانة يا بابور

كانت امسية يوم رطيب من شهر اذار عام ١٩٥٠ ، وكنت

يومذاك في بغداد وقد طوحت بي اليها نوازع العمل . وعلى ضفة دجلة في حديقة (فندق جبهة النهر) ، كنت اجلس مع الصديق المحامي علي القزويني ، ولم يلبث ان توافد علينا عدد من اخوانه العاملين في الصحافة والقضاء، وبينهم رجل من وجهاء الدليم .

وبينما نحن نشرق ونغرب في متاهات الحديث ، اذا بالوجيه الدليمي يشير بيده الى بائع الصحف الذي دخل الحديقة على حين غرة ، واخذ منه صحيفة بعينها ، وجعل يتصفح العناوين فيها على عجل . واذا هو يقف عند واحد منها ، ويهتف من اعماق نفسه ليقول : « خوش خبر .. بالله .. » !

وتحولت نحوه انظارنا جميعا .. وكل يريد ان يعرف حقيقة هذا الخبر الذي اعجبه فاذا هو يقرأ : « لقد استؤنفت المراسلات بين الدول العربية الثلاث المشتركة في سكة حديد الحجاز ، من اجل العمل على اصلاح هذا الخط ، واعادته ثانية لنقل حجاج بيت الله الحرام ، الى الديار المقدسة .. » .

وعقب احد الحضور على ذلك بقوله :

« من المفروض ان يكون هذا الخط قد تم اصلاحه لولا نكبة فلسطين ، التي صرفت العرب عن كل شيء عداها . فقد بدأت المراسلات من اجل هذه الغاية بين الاقطار الثلاثة المشتركة فيه عام ١٩٤٧ ، وكانت هذه المدة كافية ليس لايصاله الى المدينة فحسب ، بل والى مكة وما وراءها ، قياسا على البرهة الوجيزة ، التي تم انشاؤه فيها خلال العهد التركي ، وبامكانات بسيطة جدا، يتوافر اليوم ما هو افضل منها واسرع .. » !

ودار الزمن بعد ذلك دورته ..

وحل عام ١٩٥٢ ، وكنت عندها قد تحولت الى دمشق ، لاعمل في معهد المعلمين هناك ، وفي ذات مساء كنت في ادارة جريدة « الف باء » اعد لهم الكلمة اليومية لزاويتي « من واقع الحياة » . وبعد ان فرغت من ذلك ، رايتني ادخل مكتب الاستاذ الياس العيسى المحرر المسؤول لاستمتع بحديثه ، واذا عنده رجل دمشقي من الموظفين في جهاز الدولة ، وكان الاثنان يتحدثان في انباء ذلك اليوم ، وقد وقفا عند اجتماع ممثلي الدول الثلاث المشتركة في سكة حديد الحجاز ، وكانوا قد اجتمعوا في مدينة الرياض للنظر في شؤون اصلاحه .

وسمعت الرجل الدمشقي يعلق على ذلك بقوله :

« كان جدي لامي مجاورا في المدينة المنورة ومعه اهله ، وهو يتعاطى التجارة هناك ، وكانت امي تذهب اليهم في كل عام زائرة ، وتأخذني معها ، فنسافر من « محطة الحجاز » في دمشق ، فارى هناك من زحام الناس ما يخيل الي معه ان اهل دمشق جميعا قد خرجوا مسافرين الى المدينة . وارى معهم من الاحمال والسلال ما اعجب لكثرته. فهذه فاكهة الغوطة وخضارها، وهذه غلات حلب وحماة ودير الزور ، وهذه إكداس من صناعات الشام ونسيج حمص .. وهذه الحلوى .. وهذه الطرائف .

وارى هناك المواقف الباكية بين المسافرين والمودعين، والعبارات المؤثرة التي كانت تنصب في اذني الصغيرة — في ذلك الحين — فتجعلني اشارك أولئك الناس في مشاعرهم من غير ما تقصد مني او ارادة .

وما اراني أنسى ابدا ، مشهد الكثيرين من الشيوخ والنساء ، ممن اعجزتهم الحاجة عن السفر ، وهم يتلمسون جوانب العربات ومقابض ابوابها ، ويقبلونها بالدموع السخية ، وواحدهم يردد بلوعة الملهوف : « امانة يا بابور .. امانة الله عليك .. تحمل السلام للنبي » !!

وهذه المواقف كلها .. بحلوها ومرها ، اراني استعيدها جملة وتفصيلا ، وانا اسمع الخبر عن اجتماع الرياض ، الذي تحدثت عنه وكالات الانباء اليوم . وارجو ان يمد الله في عمري الى ذلك اليوم ، الذي تعود فيه سكة حديد الحجاز الى سابق عهدها ، وهو قريب من غير شك ، فأجدد العهد بزيارة رسول الله .. » .

تلك ذكريات مررت بها في بغداد ودمشق ..

وقد انطوى عليها ما يقارب العشرين عاما ، وما زال ممثلو الدول الثلاث ، يجتمعون في كل عام مرات ومرات، وهدف اجتماعاتهم كلها اعادة تسيير الخط الحجازي ..

وفي الامس القريب .. رايتني اقرأ في صحفنا بيان وزير المواصلات السوري ، الذي يعترض فيه على القضية الجديدة ، التي طرحت في الاجتماع الاخير . لممثلي الدول الثلاث في عمان ، وموضوعها (الجدوى الاقتصادية من الخط) ، وهذه قضية مفاجئة ، لم يتحدث بها احد من قبل ..

ترى .. ما معنى ان تثار هذه القضية وفي هذا الوقت بالذات ؟!

وهل تتحقق في ظلها تلك الآمال ، التي طالما هفت بها القلوب، كلما عرض ذكر الحجاز وما فيه من مقدسات، حين يدور الحديث عن اصلاح الطريق الموصل اليه ..؟

ان الاموال التي انفقتها الدول الثلاث على ممثليها خلال عشرين عاما ، لهي اموال طائلة ، مضافا اليها ما انفقته بعد ذلك لتنفيذ المرحلة الاولى من المشروع . فهل اخذت هذه الاموال بعين الاعتبار حين اثيرت تلك القضية .. ؟!

ان العزيمة حين يصاحبها التصميم والنية الصادقة تذلل امامها المصاعب . ولكن المصاعب في سبيل انجاز هذا الخط لم تذلل بعد .. فالى متى يستمر ذلك يا ترى ؟!

ليت شعري .. ألم تجتمع الكلمة بعد على ضرورة انجاز هذا الخط ، وعلى اهمية جدواه المادية والمعنوية ..؟!

أواه

أمشي على الـدرب ، وعكازتي	تحمـل اخبـار السنين الفقيـره
أمشي الى ايـن ؟ وفـي باطني	يثور جـرح الكبريـاء الاسيـره
العمـر ، كـل العمـر ، فجرتـه	التفاتة الـى الاماني الكبيـره
وهـا انـا ألعقهـا واهمـا	كالشاة تلعـق الجراح المريـره
اواه ! مـا أفقرنـي حاضنـا	أوسمتي بعد الحروب الخطيـره

حلب

علي الزيبق

اسئلـة حائـرة

حينما يقع المرء في الازمات ، وتغلـق فـي وجهه كافـة السبل للخروج منها ، يترقب عندها فرصة الخلاص مع كل بارقة امل ، تلوح له في الافق البعيد ، مهما كان هـذا الامل ضئيلا .. هزيلا .. يوشك ان لا يتماسك فيـه سلب ولا ايجاب ..

ومثل حال الافراد من الناس ، يكـون حال الامم والشعوب .. وكذلك نحن ابناء الامة العربية ، القاطنين على حدود فلسطين ، ونحن نتعرض لعـدوان اسرائيل ، الذي تشنه علينا بمساندة اولئك الذين هم وراءها ..

اجل .. كذلك حالنا ، وربما شاركنا بمثله كثيرون من اخواننا العرب والمسلمين ، في متعـدد اوطانهـم ومختلف بلدانهم .. ومن اجل ذلك ترقبنا جميعا كـل مؤتمر يعقد وابصرنا فيه بارقة الامـل التـي يترقبها المضطر ، ويتشبث بها جاهدا ، اذا ما احاطت به الكروب، واغلقت في وجهه السبل . ولعـل المفرطين منـا في التفاؤل كانوا يتوقعون ـ مع كل مؤتمر يعقد ـ ان يتدارك المؤتمرون فيه باسم من اوفدوهم ، مـا فاتهم تداركه ، فيما سلف ذلك من مؤتمرات ..

وقد تجد مثل هؤلاء الناس فـي اوطان العـرب والمسلمين يترقبون كل مؤتمر جديد على احر من الجمر ، وهم يتوقعون أن يعلن المؤتمرون فيه غضبة مئـة مليون عربي ، ومئات الملايين من المسلمين ..

ثم يعقد المؤتمر الموعود ، ويجري فيه من الجدل ، والحوار ، والمداورة ، والمنافرة ، ما يصل الى مثل ذلـك الذي هو اعنف ما يصل اليه فريقان ، تشعب بينهمـا الراي وتباعدت منهما وجهات النظـر ، واختلفت المطالب والغايات . وينصرف الوافدون ـ بعـد ذلك ـ الـى اهليهم ، وقد امتلأت حقيبة كـل منهم بالقرارات ..

والوقائع.. والنصوص المتضاربة ، بين الاصل والترجمة، وبين التلخيص والمطول ، وبين الشواهد والفقرات ، واذا كل ذلك بما فيه من تفصيل واجمال ، وبما انفق عليه من اموال طائلة ، انفقها الوافدون من اطراف الدنيا الاربعة ، وهم يتوجهون الى مكان الاجتماع وانفقتها الدولة المضيفة بسخاء لم يصل مثل خبره الى علم حاتم بن عبـد اللـه الطائي .

اذا كل ذلك .. لم يحرك ساكنا ، ولم يبدل قائما ، ولم يزحزح جنديا واحدا مـن جنود العرب والمسلمين ، ليحمل سلاحه ، ويتجه صوب فلسطين ، مجاهدا فـي سبيل الله ..

فواذلاه .. !! لمن ترك العرب والمسلمون تحريـر فلسطين اذن ..؟

هل تركوا طائعين مختارين بيت المقدس ومـا حولها بكل ما فيها مـن مقدسات الاسلام والنصرانية ، ومـن ذكريات التاريخ وامجاده .. والمسجـد الاقصى ثالث الحرمين ، الذي بارك اللـه حوله ؟ وكنيستي القيامـة والمهد ، والصخرة المشرفة منطلق الاسراء وركيزة المعراج؟ وفلسطين كاملة بكل ما فيها من مراقد الانبياء والشهداء ومواطن الايام الخالدات ؟

هل تركوا ذلك كله الـى اعدائهم ، يعيثون فيـه فسادا ودمارا ، ويمعنون فيـه مسخا وتشويها ، ثـم يتمادون ما وسعهم التمادي فـي طمس معالمـه ، وتغيير مسمياته ؟

هل تركوا ذلك ونفضوا ايديهم منه يا ترى ؟

تلك اسئلة حائرة ، توشك أن تتردد على كل شفة ولسان ، فحتى متى تظل تتردد ، دون ان يسمع لها احد جوابـا ..؟

عمان ـ الاردن

محمد سليم رشدان



لؤي فؤاد الاسعد

يوميات حرات ... في حقول الحزن

بقلم لؤي فؤاد الاسعد

* * *

كانت تتألق كفراشة تحمل على جناحيها فرح الربيع ، وكنت لا احسب ان هذا البعاد .. سيكسبها جمالا خاصا بالحزن .. اما الان وقد عادت ، وقلبي يطفح بأنواع الحب ، تطل عيناها بروعة تلك الفصول بعد زخة المطر . فكيف اقو لانني نسيتها . ذلك ان الحب الذي غطاني بضبابه ، كنت اراها فيه ، حتى فاجأني وجهها بهذا الصمت الحار . آه متى كان يفصل بيننا هذا الليل من البعاد . (ايلول ١٩٦٩) .

★

فكرت بها طويلا نهار البارحة . ففي الليل عندما قرعت الجرس على الصديق « طالب » في مرسمه ودخلت ، كانت ما تزال تسبح في بحيرتها في نفسي تلك السمكة التزوينية الخائفة . تمشيت في المكان شيئا قليلا .. وتوقفت في الشرفة الجنوبية المظللة بشجرة الجوز الكبيرة والسرو ، انظر من مسافة . الى اللوحة المتصدرة حاملها وقد جلس « طالب » بعيدا عنها وبيده كوب من الاشياء ، يمزج نفسه بالنشوة والالوان . تمنيت وانا في الشرفة لو ان يدا سحرية تحمل لي شيئا من هذا الحذر .

كانت تصوراتي ترسم شكل « عمران » ورايتها هناك في القسم المعتم من الردهة .. في المكان الذي جلست فيه قبل سفرها بأيام الى الجزائر وكانت مستغرقة في الحب ، واختلطت عندي الاشياء بين ان تكون هنا .. وبعيدة . او ان تكون هنالك فوق .. في غرفتها المطلة على قطارات السفر .. نائمة او .. لا . فعندما يحدث مثل هذا احبسها في دائرتي ونطوف في عالم الاحزان ، وليس غريبا هذا بالنسبة لي ، فحينما تحصل هذه الرعشة التي لا تنقطع ـ التوترات ـ اعرف انها ذلك الوقت مغلقة عليها ابواب الكآبة وتبكي دموعا ناشفة .

اعرف هذا لانني اعتدت ان اراها جيدا في مرايا صمتي ، بقيت معي هكذا زمنا طويلا .. ولم تبرحني ولم اقتص منها بنسياني لها ، او ان اخرجها من عالمي الداخلي الذي اخذ يمور بتصرفاتها التي لا يمكن ان اقول الا انها اصبحت بعيدة ، وهي بالنسبة لي كما المطر للارض التي هجرها لاعوام . لهذا.. لم إطلب من افكاري ان تنساها وتتركها خارجها ، وظلت معي في نفسي إستحم بها وتستحم بي ، ومع هذا اليس من الغريب الان ان نسقط بعيدا عن اسيجة الحب بعد رحلة سنوات .. ربما ليست كثيرة ممزوجين بتعاسة الطيور القتيلة على وحل الشتاء ، ومستسلمين للموت القبيح . رددت هذه الجملة وتأملت « طالب » في الجزء الثاني من المرسم وهو يعمل بالالوان .. بينما اللحن المميز في « كونشرتو سان سان للبيانو » يعيد لي ويوضح تلك الحالة من العاطفة التي ايقظتها ذات الالحان ونحن وحدنا ووجهها يتحرك في وجهي عندما كنا هنا ، وقد تركنا الصديق في هذا المكان ومضى .. ظهيرة يوم من ايام حزيران الماضي ، كان وجهها فيه يتألق بين يدي ووجهي بجمال الموسيقى الخفي والحب .

وانهمر علي وانا في الجزء الاول المعتم من المكان بعض التناقض الذي سببه لها اخوها . وتصورتها وحيدة في غربتها بين عالمين يفصلانها عن حنينها للاشياء التي كيف نستطيع نسيانها .. باعتقادي .. لا انا .. ولا هي ، يمكن لواحد منا ان يدع براءته تهرب منه ، او يتناساها لان الحب الذي عرفناه .. هو الحاضر والمستقبل تتوالد فينا ثوانيه القزحية لتنعكس على تصرفاتنا مدى الحياة ، لهذا اسعدني ان تبقى معي محبوسة في حجرتها الخاصة في روحي تفمس قدميها الحلوتين بعاطفتي وتتخاطفها في هذه الآونة من البعد ردود الافعال .. والاسئلة ، وحتى تكشف لها الذكريات ما كان يبيته لها (....) من سم الخديعة انتظرها ومجاذيفي مبللة بالتعب والبعد ، والاحزان . (تشرين ثاني ١٩٦٩) .

★

مرورا بالحديقة العامة كانت الذكريات تطل بروؤسها الصغيرة الجميلة ، من بين الاوراق المتداعية

والمصبوغة بلون الشحوب ، وهي ترقبني . كنت قد التقيت بها قبل وقت قليل تصعد « الاوتوبيس » الذي أنا فيه ، ومن الغريب ان المصادفات هي التي تسوقنا الى بعض ومع هذا فقد تجاهلتها .. وهي فعلت كذلك . وبقيت في الخلف متوارية عن نظري ، لكن عندما توقف « الاوتوبيس » في المكان الذي تعودت النزول عنده ، رأيت يدها الحلوة آخر شيء يغادر الباب الخلفي وهي تنزل ونزلت من الامام .. واحسست باضطرابها ولمحت ما يشبه الكآبة تمسح جانبا من وجهها الذي لامسته آخر مرة في مصعد « الصن رايز » ونحن متجهان الى الطابق الرابع وقد وضعت على شفتيها بعض حنيني ، وقلت بعد ان ابتعدت عنها (بدي اشتاق لك كتير ..) وقد اومأت بشاعرية حزينة وهي تغمض عينيها الكستنائيتين وقالت .. (وانا كمان) قبل ان تغادر بيروت الى الجزائر ، وانا امضي في الطريق متجاهلا اني رددت في سري هذه العبارة التي تعرفها (بحبك كتير .. كتير) وبعد وقت سرقتني خطواتي الى شارع بغداد ، مارا .. بالحديقة العامة الى البيت في الواحدة والربع تحت شمس الخريف ، حيث لنا في كل مكان ذكريات تطل برؤوسها الجميلة هنا في الحديقة .. ومن بين الاوراق التي تتساقط في هذه الايام ، لتغطي اماكن سعادتنا عندما التقينا ببعضنا يوم كنت سأغادرها فيه الى بيروت .

انظروا .. كيف تبدو حولنا الذكريات بوجوهها الرائعة ، الدافئة .. غارقة من اجلنا في الحزن فكيف لي ان اصدق انها ارتضت ان تلبس ثوب الخديعة بنفسها ، انني ادعو شموس الذكريات التي تسطع الآن .. ان تذيب ثلوج البعاد السامة .. الذكريات الخارقة .. ذات الوجوه المنمشة دائما . (تشرين ثاني ١٩٦٩) .

★

اخذنا مكاننا المواجه الى الشارع المعتم في « الستراند » لم تتغلغل الموسيقى الناعمة الى اصقاعي التي يحاول ان يمر الخريف بها ، وانا اسمع كلام الصديق وهو ينقل لي خبر محاولتها الانتحار .. وتصورت تلك الشاعرية القوقازية تغطيها كثافة الاوراق الذابلة .. الصفراء . في هذا الفصل .. وانا اوسد رمحي الى جانب الزنبقة ذات الجمال المسجى في حقول هذا العمر القاسي ، نائرا حولها ذكرياتي دموعا نشفتها رياح الحزن، مساء يوم ما .. اوائل رمضان ، واحتشدت قوافل الدموع حتى شكلت بحيرتها في عيني . واتاني ذلك الشعور .. لو اغرق العالم بالبكاء . واختلطت في نفسي الاشياء وانا انظر الى الصديق الطيب ، واتسرب في صوته الى بوابات ذلك الغموض ورددت كثيرا من الاسئلة في صمت .. وهو يتكلم معي ، ترى لماذا حدث ذلك . لماذا تحدث هذه الاشياء في مثل هذه الاوقات . وعادت لي تلك الصورة للنورس الذي يجيد العوم وقد التهمه البحر في « احدى قصائدي » وعرفت بعدها ما معنى ان تبكي الرجولة اشياءها المليئة بالحب ، والتناقضات .

حقا لماذا فعلت ذلك ، وشعرت ببعض الحب والراحة يغطياني وانا اشكر تلك القوة العلوية حين انقذتها عندما رفعت نظري الى الصديق . حقا لماذا فعلت ذلك. اعدت هذه العبارة للمرة الثانية بصوت مسموع ، وتوالت الكلمات تقرع نواقيسها في صمتي ، حينما اتاني صوته يقول . كان اخوها قاسيا .. انت لا تعرفه . وضحكت بمرارة لهذه الكلمة ، واتضحت اعماق شقيقتها الضحلة امامي .. وقلت له . ان مهمة الشاعر يا (أ) ان يعرف الناس وان يجد الحل لمشاكلهم الانسانية باشعاره .. واطرقت برأسي ارى دموعها تغسل وجهها البعيد وهي تنهمر بغزارة على المساء في قلبي .. وادركت بعدها ما معنى ان تنمو الكآبة وتنتشر سريعا في النفس . (كانون اول ١٩٦٩) .

★

كان الضباب الخفيف الموشي بشاعرية الحزن الرزين ، منذ الصباح الباكر ليوم الاحد ٧ كانون الاول ١٩٦٩ ، يغلف يوما بكامله بالغموض ، ويرمي على اجساد الايام الماضية ريش ثوانيه .. ليعري اللحظات .. مشاعر كثيرة ازدحمت في شجرة الروح منذ الصباح وقد اخذت تتساقط اوراقها على الارض في الداخل .. والضباب بروحانيته الندية يتغلغل الى النفس ويشق طريقه وسط حشد الافكار الصافية .

على غير عادتي من ايام الصباح .. صعدت « الاوتوبيس » الخالي من الناس تقريبا . وكانت ما تزال تغشي نفسي تلك الحالة من ضباب الحزن في الزاوية .. وانا في مؤخرة « الاوتوبيس » فحينما توقف في المكان الذي ارغب النزول فيه ، وفتح الباب . زنبقة نادرة ترتدي ثياب الحاضر الحزين تعانق حزني بحزنها .. وهي تصعد .. وقد اصطدم ذهولي بهذا الحاجز من الصمت المغسول بالحداد . مررت بها للحظة .. كم كانت هذه اللحظة قصيرة العمر وانا انزل منافيا للاصول .

ظلان .. حزني وحزنها كانا في شبه عناق ، تمسحت كآبتهما ببعض ذلك الصباح الغريب عن صباحات ايام الحب في الحديقة عند الباب الشمالي وفي الربيع الماضي .. ظلان من الحب شطرهما سيف الخديعة فمضيا .. واحد منهما على الاقل لم يمت فيه ما كان رائعا ، والآخر نشف دمه البعد . رأيته وهو يمر قربي وانا انزل من « الاوتوبيس » ولم تشتعل في نفسي

سوى احزانها في مساء يوم ما .. من ايام الاسبوع الاول لرمضان ، حيث اقدمت « عمران » على الانتحار ، ونقلت الى المستشفى وانقذها المجهول الذي اراد ان اراها الآن ، وهي تفوح بعطور احزانها . وقد انتشر في الطريق ضباب خفيف من شاعريتها الباقية ، لكي يوشيني .. وانا اعبر الطرقات الى الحصة الاولى . (كانون اول ١٩٧٠) .

★

لاول مرة يذهب وجهها القوقازي الغريب نحو العمق ، وقد اخذت مساحتان تميلان الى السواد ، تطوفان تحت عينيها اللتين ابحرتا باتجاه الحزن ، منذ مطلع الخريف الماضي .

لاول مرة ارى هذا التعب الحار ، يأخذ جدية الهدوء في وجهها الشاحب .. ويحرض تساؤلاتي حول شكلها الحزين ، لاعود عن قراري بالابتعاد عنها .. اليها . فحينما احاطت نظراتي لبرهة هاتين البقعتين الجميلتين من حزنها الشاعري مضيت في الطريق احمل شقاءها معي واتصور ما يمكن ان تؤديه تلك التعاسة الظاهرة من ردود افعال ، كانت قد دفعتها لحظة ما .. شبيهة بما يحدث الآن .. في الايام الاولى من شهر رمضان الماضي حين ارادت ان تضع حداً لعذابها بالانتحار ، وقد جرى لها اسعاف سريع في احدى مستشفيات المدينة . كانت التصورات المحاطة بالافكار الرهيبة تلتقيني في قاع العذاب .. وانا اسير في الطريق الى (اللاروندا) حيث تنتظرني (م) فتاة ما .. اردت ان اهرب اليها من حب احاطنا الجميع فيه بالموت . وكان قد اسعد (م) انني اصبحت وحيداً . كان وجه عمران بما يحويه من غرابة تميزت به عن بنات جنسها القوقازيات ، يضعن بقسماته الذابلة وسط جزيرة طوقتها فجأة رياح بحرية مجنونة ، ولم انس ابداً ذلك الجمال الجديد الذي تفاجأت به في الطريق ، يأخذني الى العمق في وجهها .. ومضت قسماته الغامضة تفسر لي معنى الارق الذي كان يمنع عنها النوم ويرميها الى جانب الليل فراشة تبلل جنحيها بدموع السهر محاولة الطيران خارج التناقضات .

عندما اقتربت من المكان الذي تنتظرني فيه (م) كانت نوافير الاشياء داخلي تسقي برذاذها المحبب وجوه اعشاب الحزن التي تألقت قبل وقت ، بعد ان شاهدت أميرة من اميرات العشق القوقازي يسقط وجهها الغريب في ابعاد العمق . واخذتني قدماي بعيداً لاستنشق رائحة حزني من الطريق الذي كان ينتشر فيه قبل قليل ، عذاب تلك الزنبقة القوقازية ، لاضيع ، طائر سنونو ضل طريقه بين الفصول الى الصيف (شباط ١٩٧٠)

اعتزل حزنها القوقازي في وجهي ومدد اقامته ، واصبح من العسير ان تعرف ملامحها مكاناً لها ، غير هذه المساحة ، ووطنا لاشراقات الحزن .

فحين رأيتها ظهيرة هذا اليوم ، تشربتني في عينيها ارض لا تعرف الشمس ولكنها مع ذلك تحن للامطار ، واستوقفتني بعد ان مرت غبطتها المخيمة عليها الآن عصور من الجفاف ، ولم يذهب ما كان يحيط بعينيها الحلوتين من بقع السواد الكالح ، ما رايتها به منذ ايام لاول مرة وهو يعطي وجهها الشاحب صفة الحزن . ومضيت دون التفكير في اي شيء سواها الى (الكازار) واسعدني شقائي .. وانا اتناول فنجان القهوة الفرنسية المكثفة وادخن عدداً ليس قليلاً من السجائر .

كانت متعتي مع الحزن في الزاوية ، تساوي متعة المسافر الى نهاية العالم دونما متاع ، وقد دفع الحدس (م) لتشاركني دون علم منها ما يحدث بي فجاء صوتها عبر اسلاك الهاتف الذي حدثتني به .

م – مرحبا .

– أهلا (وكان صوت (م) بعيداً ونديا) .

– مررت من الجانب الثاني للشارع المقابل للواجهة فوجدتك وحيداً .. هل تحضر .. انا في « اللاروندا » .

وبعد قليل وجدت صاحبة الصوت الجديد يبتسم لي في العتمة وانا ادخل آخذاً مكاني الى الطاولة التي كانت تسمع احاديثنا انا « وهي » وظلت تموج في ذاكرتي وتتقلب كثبان التصورات ، وهي تحمص تلك السعادة التي ذهبت الآن .

فقد لاحظت للمرة الثانية تلك الافراح المنطفئة شموعها في وجهي وانا اجلس مع (م) بعدما رمت امامي كل ما عندها من بضاعة الحنين ، وبعد ان تعمقت معرفتنا ببعض ، بعد حضورها امسيتي الشعرية في الخريف ، حتى وجدتها تنحسر ابتسامتها ذات الفرح غير العادي من شفتيها وفي عينيها الشهلاوين ويسكنهما تدريجياً صمت ، هو اقرب الى التساؤلات الشفافة القريبة من الاسى ، وبعد قليل تحركت الكلمات من بين شفتيها وقالت دون ان تستقر عيناها في عيني ، هل السبب « هي » – فهززت رأسي ..

واحسست ان تصرفي الصامت بهذه الحركة اكسبها شعوراً عاطفياً ، وحبس ظهيرة تموزية بعينيها ، وقبل ان تتساقط الدموع ، شعرت بأن شقائي سيستمر الى الابد ، ودفعني احساس لان امسح عن شفتيها بشفتي.. شقاء لحظة طويلة مفاجئة سببتها لها بقدومي.

هوامش :

- طالب اليازجي .. احد كبار الفنانين التشكيليين في سوريا .
- « صن رايز » فندق ومطعم على الكورنيش في بيروت .
- « لاروندا » اسم مكان صغير .. لتناول القهوة وسماع الموسيقى في حلب .
- « ستراند » اسم مكان .. مزيج من الموسيقى والاشكال ، في حلب.
- « الكازار » اسى مقهى في حلب يرتاده الفنانون .

وبقيت مختلطة الاشياء بعضا ببعض حتى افترقنا ذلك الوقت ، في الثانية والنصف من عصر يوم ما .. في شباط استطيع ان اقول انه كان حارا بالنسبة لايام الشتاء في العام الماضي ، حتى وصلت البيت وقد كتبت في الطريق قصيدة (غريب .. خارج مدينة الصمت) .

وانا وحدي .. تمشيت ، مع الصمت ، والقربة في المساحات الضيقة بين الجدران ، ومرة اخرى عدت الى الطرقات ، ابحث عن نورستي القوقازية (شباط ١٩٧٠)

★

لمرتين .. في الظهيرة والمساء التقينا ببعضنا هذا اليوم ، ولكننا كنا غرباء تماما ، وكانت ترتدي « بلوزة » حمراء اقرب الى لون الشمس الشتائية في السماء الصاحية فوق البحر .

رأيتها هي ورفيقتها (س) تتجه نحو البيت .. امعنت في خطواتها وشكلها الزنبقي الممزوج بالرزانة والعصبية ، المتميز في ابناء جنسها من القوقاز ، وكنت كمن يبحث عن ذكرياته في من يحبه ، ويلتقي به دون ان يتمكن من ان يكلمه .

.. حاولوا طويلا ان يقنعوها بأن الشاعر ملتصقة به كل مزايا المنحرفين اللااخلاقية ، وصوروا لها السماء الجميلة .. بلطخة الحبر السوداء . لم تصدق ساعتها ولكنها ابتعدت عن تأثيرهم الشديد ـ ولكن لماذا ـ وفضلت أن تسافر مرة واحدة بعيدا عن الجميع الى الموت .

تصوروا كيف يستطيع البعض بوحشيتهم الغريبة .. ان يخترعوا انواعا من الخديعة ويحفروا للحب ليوقعوا فيه . هذه الحزينة لم تصدق .. ولكنها ارتضت ان يعبد المجرمون طريقهم .. ليدوسوا في قلبها الرقيق ازهار حبها التي ما ازال اسمع منذ عام اصوات جمالها تئن تحت اقدام حقارتهم القاتلة . حتى ساعدتهم بصمتها ، لان ينهالوا بالطعن على القلب الذي ستبقى عاطفته تسيل بالاحزان على وجوه الذكريات . حيث بقيت وحيدة تشهد قتل حبها دون ان تفعل شيئا . بينما اعلم ان ما تقاسيه الآن هو نفس العذاب الذي يتلهب في روحي عندما رضيت لنفسها بهذا الموت . واستسلمت له دون ان تقول لا .

تذكرت كلماتها التي قالتها لي .. وانا اقطع الطريق نحو الحديقة العامة اسلي احزاني في الممرات ، التي كنا قد مشيناها مرة ما .. في احدى الصباحات قبل سفري من العام الماضي الى بيروت ، حين كانت واهلها في « كازينو السبيل » من شتاء بداية عام ١٩٦٩ وقت احسست انها لمحتني في ذات المكان من بعيد . ولكن لم تدر لماذا سرقتها الاحزان فجأة عندما استعجلت اهلها بالانصراف لتمر من الطاولة التي ظنت انها رأتني حولها وقتها مرت ، ولم اكن انا .. حيث قالت ؛ لا ادري لماذا سرقتني الاحزان عندما مررت ولم تكن انت .

كان وجهها يمتلىء في نفسي بكل الحالات الجميلة ، حتى رأيت انفعالها تماما ونحن في « اللاروندا » عندما حكت لي ما حدث معها ذلك الوقت من شتاء مضى ، حين لبستها الكآبة وغطت قسماتها الناعمة ، واكسبتها شفافية غريبة من الشاعرية .. ووقتها كانت العاطفة ترشح حتى من جدران المكان الصغير .. وقبلت يدها ـ تلك النورسة ـ الهادئة الجميلة ، التي كيف استطيع ان اقول بأنني نسيتها . (ايار ١٩٧٠) .

★

لاول مرة احس انه لا بد لكل منا ان يدخل تجربته القاسية المأساوية ، على هذا النحو من العذاب .

فمنذ خمس سنوات تقريبا .. من التناقض العاطفي المرعب ، كنت ادرك ونحن في تلك الفترة اننا لا بد واصلان الى هذا المفترق الخطير ، حتى وجدنا ذاتينا في عصر يوم سبت من ايام تموز ١٩٧٠ اننا نلتقي بعد عام من الشقاء ، في بيت .. قلنا فيه كل شيء . كانت الظهيرة يومها قبل ان التقي بها شجرة من الموت .. تظللني وترمي شروشها في اعماقي قتلا لا يشبهه قتل . ولاحظت هي كل هذا في لقائي بها عصر ذلك اليوم من السبت . وكانت تسترق النظر الى وجهي الحزين تماما .

من كان يدري انها ستعود بعد يومين ـ الثلاثاء ـ طافحة ذكرياتها بالحب وتقول في ذات المكان في بيت (ف) انها اتت لكي تكون لي دائما وابدا .. وان مخابرة انثوية وشت بها ـ عرفت ذلك الصوت .. لتلك المراة لانه كان منذ البداية سلبيا دائما ولانه لم يكن احد سواه ، حين طلبت منه ـ اي الصوت ـ ان يدعوها الى الفداء ، وبعدها كانت المخابرة المشؤومة ، وبعدها تدمر كل شيء .

لست حزينا من احد ، ولكنني اشفق عليهم ، اما هي ، كان لا بد ان تأتي عارمة بذكرياتها .. لتقول لي امامهم ، ستكون لي الى الابد ، وهذا ما اثار خيبتهم الى تعميق قتل حبنا ، وحدث كل ما يؤذي النفس .

لهذا احس الآن بعد ان وصلنا الى هذا التعقيد ، فان خير حل لمعضلة مشكلتنا هو ان ابتعد ، وان تتزوج ذلك الدخيل ـ الذي اطلع على علاقتنا ، على نحو غير حقيقي ـ ومفاير ـ وبنى عش سعادته على انقاض حب لا اعتقد انه من السهولة ، ان تمحو اصابع الخديعة ، ما حفرته السنوات من جمالية تناقضاتنا العاطفية في نفسها ، غير ان الذكريات .. لا بد ستستيقظ مرة من النوم ، حيث لن تجد حولها الا حبنا .. الذي جللته اوراق الخريف الميتة (١٣ ايلول ١٩٧٠) .

حلب **لؤي فؤاد الاسعد**

الامسية الضائعة

الى روح الصديق سمير سليمان الذي توفي في احداث الاردن

لو مت وراء الليل
لو مت هنالك تحت ظلال الليمون
او اغمضت جفونك في اكناف الزيتون
وسقيت عيون النرجس جرعه
صبغت خديها ..
بحياء حبيب وحبيبه
عادا من بعد فراق يحتضنان !!

لو كان الجرح النازف من جنبيك
فجرا من بعد ظلام
او همسة شوق تحملها
للزهرة هبات الانسام

لو كنت رايتك قبل الرحله !!
لكن لا تعلم .. لا اعلم
في اي مكان نلقي بالاحمال ..

لو أعلم انك لا تبكي
لو أعلم انك لا تحزن
لم اعصر قطرة دمع
لم اكتب بيت رثـاء
ولكنت بكيت وجودي
بـين الاحيـاء !!

★

لكن يـا ذاك الواقف
لا ادري أيـن !؟!
ابكيك دموعا لا تنضب
ابكيك .. وحزني يتلهب

★

كـان المـوت يفـر ..
وكنت تلاحقه في كل مكان
تبحث في ظلمات الليل
عـن ارض للانسان
عـن نبعـة مـاء
تروي ظمأ الفارق في الاحزان
في كفك نـار سحرية !!
في قلبك دنيـا مطوية !!

★

وأحاول ان انساك
ان أنسى ضيعتنا في هذا العصر
ان انسى وجهك يصفعني
بالبسمة يسخر من دنياي
لكن الذكرى من خلف الجدران تطل
اذكر انك قبل وقوع الشمس في فخ العتمه
كنت تغني للشمس الالحان
كان خيالك يغرق في بحر الاحلام
كنت تطير وراء الوهم
وتترع كاسك من نبع الآلام
كانت عيناك من الاحزان
صفراوين .. كوجهك
يـا عاشق حزن ابدي
لم يعرف طعم الحزن !!

★

وأرى اوراقا منثورة
اقرأ اشعارا مسطورة
وأحس بانك .. ما زلت معي
تحكي عن حبك .. للحزن الابدي
المحفور على جدران الغربة
في جنب سلاحك !!

احلم انك تحت ظلال الليمون
احلم انك في اكناف الزيتون
احلم انك لا تبكي
... انـك لا تحزن
انك اطلقت رصاصتك الاولى عند النهر
ورصاصتك الاخرى ..
عنـد الشاطىء !!

عمان ــ الاردن

مامون جرار



محمود الحسنية

ابن العربي المعافري

بقلم محمود الحسنية

امين سر جمعية المكتبات اللبنانية

* * *

في بيت إشبيلي ، من بيوت الوجاهة والعلم ، ولد ابو بكر ، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد اللخمي ، المعروف بابن العربي المعافري ، في شعبان من سنة ٤٦٨ هـ ، ١٠٧٦ م ، في ظل والد ، كان يتصدر مجالس اشبيلية ، ولاه معتمد بني عباد ، الولايات الشهيرة ، وبواه المراتب الرفيعة ، وبقي مكرما ، حتى دال ملك بني عباد ، على يد قواد امير المرابطين يوسف بن تاشفين اللمتوني ، في اواخر رجب سنة ٤٨٤ هـ ، ١٠٩١ م .

ذكره المقري في نفح الطيب ، قال :

سمع في صغره ، باشبيلية ، اباه ، وخاله ، ابا القاسم الحسن الهوزني ، وابا عبد الله السرقسطي ، وببجاية ، ابا عبد الله الكلاعي ، وبالمهدية ابا الحسن بن الحداد الخولاني .

سئل ابو بكر عن تحصيله العلم ، فقال :

حذقت القرآن ابن تسع سنين ، ثم ثلاثا لضبط القرآن ، والعربية ، والحساب ، فبلغت ست عشرة سنة ، وقد قرات من الاحرف نحوا من عشرة ، بما يتبعها من اظهار ، وادغام ونحوه ، وتمرنت في الغريب ، والشعر ، واللغة ، ثم رحل ابي الى المشرق .

وقال ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال ٤٩٤ — ٥٧٨ هـ ١١٠١ — ١١٨٣ م . في مؤلفه الصلة عن ابي بكر بن العربي بانه « الحافظ المستبحر ، ختام علماء الاندلس ، وآخر ائمتها وحفاظها ، رحل الى المشرق مع ابيه في مستهل ربيع الاول سنة ٤٨٥ هـ ودخل الشام والعراق وبغداد ، وسمع بها عن كبار العلماء .

وفي موسم سنة ٤٨٩ هـ ، حج وبمكة سمع عن ابي عبد الله الحسين الطبري ، وابن طلحة ، وابن بندار ، وقرا الادب على ابي زكريا التبريزي ١٠٣٠ — ١١٠٩ م وقال ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الشافعي ٤٩٩ — ٥٧١ هـ ١١٠٥ — ١١٧٦ م . في دمشق سمع عن ابي الفتح ، المقدسي وتفقه عند ابي بكر محمد بن الوليد الطرطوسي المعروف بابن ابي رندقة ١٠٥٩ — ١١٢٦ م . وغادرها الى مقره بغداد ، سنة ٤٩١ هـ ، ١٠٩٨ م .

دخل بغداد مرتين ، وفيها لقي الشاشي ، والامام ابا بكر ، والامام ابا حامد الطوسي الغزالي ، واخذ عنهم ، وفي ذلك نقل عنه قوله : كل من رحل ، لم يأت بمثل ما اتيت به ، انا والقاضي ابو الوليد الباجي (ابن باجه) . وكان من اهل التفنن في العلوم ، متقدما في المعارف كلها ، متكلما على انواعها ، حريصا على نشرها .

وذكر في مؤلفه قانون التاويل : ورد علينا الغزالي ، فنزل برباط ابي سعد بازاء المدرسة النظامية ، معرضا عن الدنيا ، مقبلا على الله تعالى ، فمشينا اليه ، وعرضنا امنيتنا عليه ، وقلنا له : انت ضالتنا التي كنا ننشد ، وامامنا الذي به نسترشد فلقينا لقاء المعرفة ، وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة ، وتحققنا ان الذي نقل الينا من ان الخبر على الغائب فوق المشاهدة ، ليس على العموم ، ولو رآه علي بن العباس (ابن الرومي) ٨٣٥ — ٨٩٦ م :

اذا ما مدحت امرا غائبا فلا تغل في مدحه واقصد
فانك ان تغل ، تغل الظنون فيه الى الامد الابعد
فيصغر من حيث عظمته لفضل المغيب على الشهد

ومن العراق سافر الى مصر والاسكندرية حيث لقي جملة من العلماء سمع عنهم ، امثال الانماطي ، وابي الحسن الخلفي ، وفي هذه الديار صنف « عارضة الاحوذي على الترمذي » وفاجاه القدر في اول سنة ٤٩٣ — ١١٠٠ م . بموت والده فغادر الاسكندرية ، عائدا الى مسقط راسه في اشبيلية ، فسكنها ، وسمع دروس الفقه ، والاصول ، وجلس للوعظ والتفسير ، وصنف في شتى الفنون ، التصانيف المفيدة الحسنة .

تولى القضاء في سنة ٤٩٨ هـ — ١١٠٤ م . فكان قاضي قضاة كورة اشبيلية ، حرص على تطبيق العدالة الاجتماعية بما اوتي من شخصية نادرة ، تتحلى بالعلم

وآداب الاخلاق وحسن المعاشرة ، وكرم النفس ، وثبات الود ، وصفاء الذهن ، وقوة الارادة . فنفع الله به لنفوذ احكامه ، وصرامته في الحق والقـوة ، والشدة على الظالمين ، والرفق بالمساكين ، وروي عن شدته إنه امر بثقب اشداق زامر .

ووافق ان احتاج سور اشبيلية الـى بنيان جهة منه ، ولم يكن بها مال متوفر ، ففرض على الناس جلود ضحاياهم وكان ذلـك في عيـد اضحى ، فاحضروها كارهين ، ثم اجتمعت العامة العمياء ، وثارت عليـه ، ونهبت داره .

وكان في تطبيق احكامه يلتزم الامـر بالمعروف ، والنهي عن المنكر حتى اوذي فـي ذلك بذهاب كتبـه ، وماله ، فاحسن الصبر ، على هذا الاذى الذي اصابـه وإبعده عن القضاء حيث انصرف الى نشر العلم ، فكـان فصيحا حافظا ، شاعرا ، كثير الملح ، مليح المجلس .

قال المحد ثابو القاسم خلف بـن عبد الملك بـن بشكوال : قرات عليه ، باشبيلية ، وسألته عن مولده ؟..
فقال لي : ولدت ليلة الخميس ، لثمان بقي من شعبان ، سنة ٤٦٨ هـ .

ذكره المقري التلمساني في مؤلفه « ازهار الرياض في أخبار عياض » بانه من اشياخ القاضي ابـي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي .

شعـره :

انه صورة واضحة المعالم تعكسها مـرآة مصقولة لشاعرية نفاذة ، تمتاز بجمال الاقسام ، ترتـاح اليهـا النفس ، لتناسق دقة الوصف ، والايحاء ، واختيـار الالفاظ التي تربط باحكـام خصائص البلاغة مـع الايقاع الموسيقي ، واذكاء القوى العقلية والفكرية ، شأنه في كل ما يقول :

اتتني تؤنبني بالبكـاء ... فاهـلا بهـا وبتانيبهـا
تقول وفي نفسها حسرة ... اتبكي بعـين تراني بهـا
فقلت اذا استحسنت غيركم ... امـرت جفوني بتعذيبهـا

دخل عليه الاديب ابن صارة ، وبين يديه نار علاهـا رماد ، فقال له : قل في هذه ، فقال :

شابت نواصي النار بعد سوادها ... وتسترت عنـا بثـوب رمـاد

ثم قال آخر ، فقال ابن العربي :

شابت كما شبنـا وزال شبابنا ... فكأنمـا كنـا علـى ميعـاد

وقال يتشوق الى بغداد :

امنك سري والليل يخدع بالفجر ... خيال حبيب قد حوى قصب الفخر
جلا ظلـم الظلماء مشرق نـوره ... ولم يخبط الظلماء بالانجم الزهر
ولم يرض بالارض البسيطة مسحبا ... فسار على الجوزا الى فلك يجري
وحث مطايا قـد مطاها بعـزه ... فاوطاها قسرا على قنـة النسر
فصارت ثقـالا بالجلالـة فوقهـا ... وسارت عجالا تتقي الـم الزجـر
وجرت علـى ذيل المجـرة ذيلهـا ... فمن ثم يبدو مـا هناك لمن يسرى
ومرت على الجوزاء توضع فوقها ... فآثار مـا مـرت بـه كلف البدر
وساقت اريج الخلد منجنة العلى ... فدع عنك رملا بالانيعم يستذري
فما حذرت قيسا ولا خيل عامـر ... ولا اضمرت خوفا لقاء بني ضمر

سقى الله مصرا والعراق واهلها ... وبغداد والشامين منهمل القطر

نثـره :

ذكر ابن العربي في مؤلفه « قانون التأويل » ركوبه البحر ، في رحلته ، من افريقية ، باسلوب جزل ، بديع ، قال فيه : « وقد سبق في علم الله ان يعظم علينا البحر، بنزوله ، ويغرقنا في هوله ، فخرجنا من البحر ، خروج الميت من القبر ، وانتهينا بعد خطب طويل ، الى بيوت بني كعب بن سليم ، ونحن من السغب ، على عطب ، ومن العري في اقبح زي ، قد قذف البحر زقاق زيت ، مزقت الحجارة منيئتها ، ودسمت الادهان وبرهـا وجلدتها ، فاحتزمناها ازرا واشتملناها لفعـا ، تمجنا الابصار ، وتخذلنا الانصار ، فعطف اميرهم علينا ، فاوينا اليـه فاوانا ، واطعمنا الله على يديه ، وسقانا ، واكرم مثوانا ، وكسانا بامر حقير ضعيف ، وفن من العلم ظريف » .

ذلك نسق ، من نثره تتجلى فيه روعـة الكلمة ، ومهابة ركوب البحر انذاك .

وكأني به يقول من هول ما عانوه في لجج البحر من اصطخاب الامواج بلسان المقري :

ثلاثة ليس لهـا امان ... البحر والسلطان والزمان

تآليفه : تآليفه عديدة منها :

القبس في شرح موطأ مالك بـن انس . تـرتيب المسالك في شرح موطأ مالك . انوار الفجر ، في تسعين سفرا . احكام القرآن ، عارضة الاحوذي على الترمذي . مراقي الزلف . الخلافيات . نواهـي الدواهي . سراج المريدين . المشكلين . الناسخ والمنسوخ فـي القـرآن . قانون التأويل . النيرين فـي التصحيحين . سـراج المهتدين . الامـد الاقصى باسماء الله الحسنى وصفاته العليا . مشكل حديث السبحات ، والحجاب . العقـد الاكبر ، للقلب الاصغر . تبيـين الصحيح في تعيـين الذبيح . تفصيل التفضيل ، بـين التحميد ، والتهليل . الكافي ، في ان لا دليل علـى النافي . السباعيات . السلسلات . التوسط في المعرفة ، بصحـة الاعتقاد ، والرد على من خالف اهل السنة ، مـن ذوي البدع ، والالحاد . شرح غريب الرسالة . الانصاف فـي مسائل الخلاف (٢٠ مجلدا) . ملجئة المتفقهين الـى معرفـة غوامض النحويين . حديث الافك . شرح حديث جابر في الشفاعة . شرح حديث ام زرع . شد الصوبرة . المحلول في علم الاصول . اعيان الاعيان . ترتيب الرحلة .

نظرته الـى اصول التعليم : كـان اهـل الاندلس يعنون بتعليم العربية والشعر ، قبل العلـوم الاخـرى ، ثم بالقرآن الكريم ، ليدركـوا معانيـه ، علـى خـلاف اهل المغرب والمشارقة ، الذيـن كانـوا يبدأون بتعليم القرآن الكريم ، دون سائر العلوم .

وقد فضل القاضي ابو بكر بن العربي طريقة اهـل الاندلس ونصحها للمشارقة ، لان الشعر ، كما قال عنـه

عودة الربيع

ترى هل تعود الطيور ترف / وتملأ هذا الفضاء الرحيب
وتسكب ترتيلها في الاثير / ويخفق في السمع همس حبيب
وينساب في الارض دفء الحياة / ويخضر عود ، ويعبق طيب
أتورق ، يا درب ، بعد ، الاماني / أتشرق رغم اصفرار المغيب

،وعادت طيور الربيع ترف / واصغت لترتيلها الكائنات
ومر على الاعجك رجع النسيم / ورقرق في النبع ماء فرات
وماجت رياض ببوح العبير / وعاد الى الكون دفء الحياة
وأشرقت الشمس بعد الضباب / فصعدت الارض أسمى صلاة

ولكن هناك على المنحنى / شجيرة ورد علاها اصفرار
فما عاد طائرها للربوع / وكان انتظار يمد انتظار

دمشق — سلافة العامري

هو ديوان العرب ويدعو الى تقديمه ، في تعليم العربية ، ومنه ينتقل الطالب الى الحساب فيتمرن فيه ، حتى يرى القوانين ، ثم ينتقل الى درس القرآن ، فانه يتيسر عليه بهذه المقدمة ، ثم قال : ويا غفلة اهل بلادنا في ان يؤخذ الصبي ، بكتاب الله ، في اوامره ، ويقرأ ما لا يفهم ، وينصب في امر غيره اهم ما عليه ، ثم قال : ينظر في اصول الدين ثم اصول الفقه ، ثم الجدل ، ثم الحديث وعلومه ، ونهى مع ذلك ، ان يخلط في التعليم ، علمان ، الا ان يكون المتعلم ، قابلا لذلك، بجودة الفهم ، والنشاط » . (مقدمة ابن خلدون).

اشهر من ترجم لابن العربي :

ـ ابن، بشكوال ، في تاريخ ائمة الاندلس .

ـ ابن سعيد ، في وشي الطرس ، في حلى جزيرة الاندلس .

ـ القاضي ، ابو الفضل ، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ، في الفنية .

ـ الفتح بن خاقان القيسي في قلائد العقيان ومحاسن الاعيان .

ـ القاضي ابو الحسن بن الحسن النباهي ، في المرتبة العليا ، في القضا والفتيا .

ـ ابو عبد الله محمد بن عبد الله ، القضاعي ، البلنسي ، المعروف بابن الابار ، في الحلة السيراء .

، ـ الاستاذ ابو جعفر ، احمد بن ابراهيم ، بن الزبير ، في صلته .

ـ ابو جعفر ، بن الباذش ، من علماء المئة الخامسة.

ـ ابن عساكر ، في تاريخ دمشق .

ـ الشقندي ، في الطرف .

ـ ابن الامام ، في سمط الجمان .

ـ الحجاري ، في المسهب .

ـ احمد بن محمد المقري ، في نفح الطيب من غض الاندلس الرطيب وازهار الرياض ، في اخبار القاضي عياض .

وفاته : ذكر شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني مستنداً على ما دونه قاضي المغرب الامام الذائع الصيت ، ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، السبتي ، المتوفي بمراكش سنة ٥٤٤ هـ ، في مؤلفه الفنية :

« دفن ابن العربي ، خارج باب الجيسة ، واعتذر عنه بعض الاكابر ، وتوفي منصرفه من مراكش ، من الوجهة التي توجه فيها ، مع اهل بلده ، الى الحضرة ، بعد دخول الموحدين مدينة اشبيلية ، فحبسوا بمراكش نحو عام ثم سرحوا ، فادركته منيته بطريقه في موضع يعرف باغلان ، على مسيرة يوم من فاس ، غربا وحمل ميتا الى فاس ، في اليوم الثاني من موته ، وذلك يوم الاحد السابع من ربيع الاول سنة ٥٤٣ هـ ، ١١٤٨ م ، ودفن باعلى مدينة فاس ، خارج القصبة ، بتربة القائد مظفر ، وصلى عليه ، صاحبه ابو الحكم بن الحجاج . ذاكراً له مآثره ، وغزارة علمه في الاصول والفروع .

محمود الحسنية

الآذن المدير

بقلم عبد الحميد الانشاصي

« - لماذا لم تفرغ سلة المهملات التي بجانبي ؟

- مسعود اهملها .

- لماذا لم ينفض الغبار عن طاولتي وكرسي ؟

- الحق على مسعود .

- كيف وافق المدير على اجازة حسن افندي ؟

- مسعود تدخل في الامر .

- لقد منح يوسف افندي العلاوة السنوية بعد ان وقفت سنتين . عجب ! كيف ووفق على اضافتها الى راتبه ؟

- مسعود كان وسيطا في الامر .

- من اين هذا الرباط الجميل الذي يطوق عنق مسعود ؟

- المدير اهداه اليه .

- ان مسعوداً يدخن سيجارا فاخرا ، فمن جاد بهذا السيجار عليه ؟

- الوجيه الكبير سليمان بك » .

مسعود شاب فارع القامة ، ممتلىء العضدين ، ضخم الراس ، دميم الوجه ، عابس العينين والجبين ، مرتفع الصدر عرضه ، رجلاه الطويلتان الضخمتان كجذعين من جذوع اشجار الزيتون القديمة لا في شكلهما فحسب بل في ثباتهما ورسوخهما . رجلان ثابتتان في ارض المكتب . رسختا فيه منذ عدة سنين . بدلته من الكاكي صفراء رخيصة الثمن بسيطة المظهر ، ولكنها شبيهة ببدلة الجندي الشجاع المهاجم الذي يخشى بأسه . عيناه ليستا نظيفتين دائما ولكنهما مخيفتان كعيني الاسد بعد اتساخهما على اثر عراك شديد مع فريسة قوية . راتبه ضئيل ينم على انه آذن لا يؤبه له ، ولكن تأثيره كبير ونفوذه واسع يتمناه موظف كبير .

(مسعود حزين يشعر بذل يتمشى في اعضاء جسمه القوية لانه لم يتمكن من ان يتزوج فتاة جميلة مثقفة نشأت في اسرة ثرية ذات جاه وحسب ، كل يحبيه ويرحب به ما عدا والد حبيبته فهو يدير عنه وجهه ويوليه ظهره بلا مبالاة كلما مر به . انه يتناول في بيته طعاما رخيصا ويبقى الطبيخ عنده ثلاثة ايام اقتصادا في النفقات . يستدين كثيرا من النقود ليتمكن من الاضطلاع بأعباء المعيشة . وحينما يطالبه الدائنون بالوفاء بما لهم عليه من ديون يضطر الى مماطلتهم ويشعر حينئذ انه مسكين وان كان معارفه لا يجرؤون بحضوره ان يقولوا عنه : « مسكين ! ») .

حينما دخل ناظم بك ، رئيس الكتبة الجديد ، المكتب لم يقرأ على وجوه الموظفين انهم كانوا في انتظاره ، ولم يرحب به احد منهم الترحيب الذي كان يتوقعه . هناك فتور في عبارات الترحيب وفي نظرات الاستقبال . حتى الكرسي المعد له كان الآذن جالسا عليه . وحينما دنا ناظم بك من طاولته نهض مسعود عن الكرسي في بطء كأنه لا يرغب في النهوض عنه وكأن ناظم بك ليس رئيسا للكتبة . صافحه مسعود مصافحة المعزي لرجل توفي ولد له اذ كانت مصافحته فاترة رخوة ، وقد جاد عليه بابتسامة موجزة بشعة . وبعد ان جلس رئيس الكتبة على كرسيه اجال نظرة فاحصة فيما حوله ، ثم في الطاولة القائمة امامه ، وفي الاضابير المكدسة عليها ، فلاحظ ان الاضابير يعوزها الترتيب ، وان الطاولة علاها غبار كثيف في بعض زواياها . فضغط الزر الكهربائي من ورائه لكي ينبه الآذن الى تلك الطبقة القذرة من الغبار التي اعمت وجه الطاولة . ولكن الآذن لم يحضر . فضغط الزر ثلاث ضغطات قوية . وبعد مضي برهة طويلة جاء مسعود . فأعلمه ناظم بك في رزانة انه ضغط الزر الكهربائي مرارا منذ زمن طويل دون ان يحضر . ثم سأله ما السبب في عدم مجيئه ، فأجابه الآذن بصوت قوي انه كان مشغولا .

- ما الذي شغلك عني ؟

حدجه الآذن بنظرة صارمة ، ثم اجابه بعد لأي :

- كنت اتناول الفطور مع بعض الاخوان من الموظفين .

(انك موظف متكبر متعجرف ، ولكنني اعرف كيف اطاطىء راسك) .

فقال له رئيس الكتبة مقاطعا :

- ينبغي لك ان تتناول الفطور في منزلك . لا تكرر هذا العمل .

(ان نفسك اعلى من وظيفتك . انا اعرف كيف احاسبك على هذه النظرة) .

فزجره مسعود بلفظة محقرة قائلا : « هه ! » . فنظر اليه ناظم بك شزرا دون ان يفوه بكلمة . وبعد برهة قال له بنغمة ثائرة :

- انظر الى طاولتي . الا ترى الغبار المتراكم عليها ؟

(انك آذن قذر) .

ولكن الآذن لم يلق على الطاولة نظرة واحدة بل راح يسرح نظره في وجه رئيس الكتبة في صمت وهدوء . وبعد ذلك القى نظرة مخطوفة على وجه الطاولة ، ثم قال بنغمة متحدية :

- ان هذا الغبار رسب من



الاضابير المكدسة .

– وان يكن ؟ انك مسؤول عن كل انواع النظافة في هذا المكتب : عن نظافة الطاولات والكراسي والاضابير والارض وكل شيء .

(هل نسيت انك آذن ؟) .

فهز مسعود راسه هزا منذرا وهو يصوب اليه نظرة طويلة جارحة ثم قال :

– هذا صحيح . سأنظف لك الطاولة .

(لا بد من تربيتك يا سخيف العقل) .

ثم خرج الآذن من غرفة رئيس الكتبة . وبعد قليل عاد وفي يده منفضة ، وراح ينفض الغبار عن الطاولة . واخيرا قال له ناظم بك :

– حسن ! كفى !

واجراء للمصالحة بينه وبين مسعود قال له بصوت رقيق مهذب :

– هل حسام بك في غرفته ؟

– كلا . ان المدير لم يقدم بعد . من عادته ان يأتي في الساعة العاشرة .

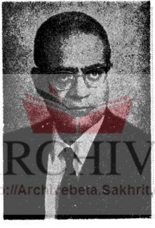
فابتسم ناظم بك للآذن ابتسامة سطحية لا تكاد تكون ابتسامة ، ثم قال هازا راسه في تحبب :

– حسن اذهب لشأنك .

ومضى الآذن وقد شعر بزئبق غضبه يهبط بضع درجات .

★

بعد مضي اسابيع على قدوم رئيس الكتبة تبين له ان الآذن مسعودا يدس انفه في امور ليست من اعماله المنوطة به ، وانه يتدخل في شؤون المراجعين ، ويفسد ما بينه وبين حسام بك من صلات الود والوئام ، فكاد ينفجر غيظا . وقد استدعاه اليه مرارا وانبأه ان عمله المنوط به لا يتعدى المحافظة على نظافة الدائرة والوقوف بجانب باب غرفة المدير ونقل الاضابير من مكان الى آخر ، وانه من الخير له ان يبتعد عن التدخل في شؤون المراجعين . ولكن مسعودا لم يعمل بذلك بل استمر على ما تعوده منذ سنين دون ان يكترث لانذارات رئيس الكتبة المتكررة . فاستغرب ناظم بك هذا العناد من آذن . ثم تطور هذا الاستغراب الى حقد ثم الى رغبة ملحة في الانتقام منه والتخلص منه . ومما جعله يضع تلك الرغبة موضع التنفيذ انه راى ذلك الآذن وهو واقف مع احد المراجعين على مقربة منه وقد همس ببضع كلمات في اذن المراجع . سمع ناظم بك بعض تلك الكلمات ،



عبد الحميد الانشاصي

●

واستنتج تتمتها بعد تفكير . وقد ادرك بعد ذلك ان مسعودا اعلم المراجع انه في امكانه ان يجيبه الى طلبه وان كان رئيس الكتبة معارضا في ذلك . فلم يجد ناظم بك بدا من استدعاء الآذن اليه ومحاسبته على تدخله في امر لا يعنيه . فاحتد مسعود سخطا ، وعد ذلك اهانة مصوبة اليه . واشتعل الجدل بينه وبين رئيس الكتبة حتى انتهى بصفعة من ناظم بك على خد مسعود وبلكمة من مسعود على صدغ ناظم بك جعلته يترنح ثم يهوي على الارض . والموظفون من حوله ينظرون في صمت غريب . ثم نهض ناظم بك عن الارض في خزي نساء بقلبه ، ووقع في حيرة من امره فلم يدر ماذا يصنع .

(اصوات من الداخل : ان هذه المرة الاولى التي يلكمني فيها آذن صغير الشأن . انه مغرور بطوله وضخامة راسه . سأحطم راسه والصق انفه بالتراب . يجب ان يطرد ذلك الكلب من هذا المكتب . ان هذا رجل « ازعر » يشوه سمعة الموظفين ويصفع كرامتهم . هذه حالة لا تطاق . لا بد من ان اسرد ما جرى بيني وبينه على المدير) .

(منظر في الداخل : يفافل الآذن ثم يأتيه من ورائه ، ويمسك جنبيه في قوة ، ثم يدفع احدى رجليه بركبته فيقع الآذن على الارض . وينهال ناظم بك عليه صفعا وضربا . واخيرا يطبق على عنقه بكفيه ويضغط حنجرته حتى يختنق) .

لقد عدها اهانة عظيمة تلحق بكرامته ان يشاهد الموظفون الصغار ضعفه وسقوطه على الارض امام آذن . واستغرب ان يسمع المدير ما دار بينه وبين الآذن من جدال وما علا من كلام وصياح وصوت صفقة ولكمة وسقوط على الارض دون ان يكترث لناظم بك ويحاسب الآذن على ما فعل . لا شك انه سمع كل ذلك فان غرفته قريبة من غرفة رئيس الكتبة واعلى بابها مفتوح . فكيف تجاهل ما جرى في مكتبه ؟ انه هو المسؤول عنه .

لم يجد ناظم بك بدا من ان يدخل على حسام بك وينبئه بما جرى بينه وبين الآذن من مشاجرة وعراك . سرد عليه كل شيء في تفصيل . ولكن حساما بك قال في هدوء وفتور :

– متى جرى ذلك ؟

(انني اعلم كل شيء) .

– منذ برهة قصيرة . الم تسمعنا ؟

(انك كاذب . لا شك انك

متجاهل) .

وبعد قليل من التأمل قال له المدير :

ـ ان مسعودا رجل عصبي المزاج . هذه معاملته مع جميع الموظفين . وهو فقير مسكين يستحق العطف .

(ليس لك الا ان تسايره وتخضع له سواء اكنت راضيا ام كنت كارها) .

ـ ماذا تقول يا حسام بك ؟ انك بذلك تشجع موظفا صغيرا كهذا على مس كرامتي وكرامة الموظفين . انه يجاوز حدود وظيفته ويتدخل فيما لا يعنيه فقد اعتدى علي وانا رئيس كتبة في اثناء عملي في الوظيفة ، وليس لآذن كهذا من عقاب سوى الطرد ـ الطرد من الوظيفة . ان القانون يعاقبه بالطرد، انني لا اكتفي بنقله بل بطرده . انا لا اسمح ان تطلق الحرية لموظف صغير كهذا في التدخل في شؤون المراجعين والاعتداء على الموظفين في هذا المكتب .

(ان لم تعاقبه انت شكوتك الى الهيئة الادارية) .

تخفيفا لثورة رئيس الكتبة ومسايرة له مؤقتا قال له المدير في رزانة واهتمام مصنوعين :

ـ اترك هذا الامر لي .

وهز له رأسه مطمئنا . وخرج ناظم بك من الغرفة على امل ان ينتقم المدير له من الآذن .

مضت ايام واسابيع والآذن ماض في تدخله وعجرفته وكبريائه. فرأى ناظم بك ان يتقرب الى الموظفين ليأخذ فكرة صحيحة عن ذلك الآذن العنيد . اخذ يجالس هذا ، ويتحبب الى ذاك ، ويصارح هذا ليصارحه بدوره ، ويكاشف ذاك ليكاشفه بدوره . انباه احد الموظفين قائلا :

ـ مسعود عنيد جدا . ان من عادته ان يتدخل في شؤون المراجعين والموظفين . ولا احد يردعه عن ذلك . ان المدير لا يحاسبه على تدخله واعتدائه . وكلما نشبت مشاجرة بينه وبين احد الموظفين قال له الآذن : « انني اكثر منك فهما . انك لا تعرف كيف ترضي المراجعين » .

وقال له موظف ثان :

ـ لقد اصطدم به اثنان من رؤساء الكتبة من قبلك ، فنقل الرئيسان وبقي هو في المكتب . ان المدير نفسه يسايره . والموظفون يتقربون اليه .

وقال موظف ثالث :

ـ محال ان يخرج مسعود من هذا المكتب او يصاب باذى .

« ـ لماذا ؟ ما السبب ؟ هل هناك وجيه كبير يحميه ويعضده ؟ هل هو من القوة بحيث يسيطر علي وعليكم وعلى المدير نفسه ؟ لقد رايت كثيرا من الآذنة في حياتي في اثناء قيامي بالوظيفة فلم ار اجرا ولا اشد كبرياء وعجرفة من هذا الآذن » .

ولكن ناظم بك لم يستطع ان ينتزع من افواه الموظفين الجواب الشافي . قابله جميع الموظفين في فتور وكتمان . غير انه لم ييأس . تحدث الى بعض اصدقائه ومعارفه في خارج المكتب عن ذلك الامر ، فقال له احدهم :

ـ ان مسعودا كما ترى رجل قوي العضلات ضخم الجسم سليط اللسان . اما حسام بك فهو ضئيل الجسم ضعيف العضلات جبان اللسان . وهو في حاجة شديدة الى آذن كمسعود لانه يدافع عنه ويخضع الموظفين له ويمهد له اية طريق يريد ان يسلكها في عمله دون ان يلقى معارضة او مقاومة من الموظفين . هل فهمت الآن الحقيقة التي لا شك فيها ؟

★

اخذ ناظم بك يتحبب الى الآذن. غير سلوكه تجاهه . هناك خطة مرسومة يريد ان ينفذها لعله يستريح من هم مسعود . انه الآن يتناول الفطور مع مسعود كما يفعل الموظفون الصغار ، وهو يقدم اليه علبة سجائره ليتناول منها سيجارة فيدخن معه ، وهو يقدم اليه فنجانا من القهوة او الشاي من وقت الى آخر . اخذ يمازحه ويضاحكه ويكاشفه بدخيلة نفسه ويطلعه على بعض اسراره واسرار بعض معارفه . فأيقن مسعود ان رئيس الكتبة اصبح صديقا له ، واطمأن اليه . وراح يستشيره في كثير من الامور .

وفي ذات يوم قال ناظم بك للآذن :

ـ انك يا مسعود مظلوم في هذا المكتب . لقد فكرت في امرك كثيرا حتى اهتديت الى فكرة .

(ارجو ان اوفق فيطبق الفخ على مخنقك فتريحني وتريح غيري من الموظفين) .

فأدنى مسعود وجهه من وجه رئيس الكتبة في اهتمام وقال :

ـ وما هي فكرتك ؟

(ارجو ان يجيء الخير على يدك) .

فأجابه رئيس الكتبة بصوت منخفض بعد برهة من الصمت :

ـ اريد ان اسعى لترفيعك الى وظيفة تستحقها . انك اهل لان تكون كاتبا لكي تضمن لك راتبا ضخما فتدخر منه مالا يريحك في مستقبلك حينما تبلغ سن الشيخوخة وتحال على المعاش .

(ان وظيفة آذن كثيرة عليك . لعنة الله على الشخص الذي سعى لك حتى نجح في تعيينك آذنا في هذا المكتب) .

فاتسعت عينا مسعود ارتياحا واعجابا باخلاص رئيس الكتبة وقال له مبتسما :

ـ بارك الله فيك ! ان هذا لطف منك . انك تعلم ان خطي جميل جدا وانني مظلوم . أؤكد لك انه قلما

يا شعر

يا شعر يـا دنيـا الخيال النائي ... يـا كوكبـا فيـه تشع سمائـي
يا شعر يا هزج الرعاة ونغمـة الـ ... ـنـاي الطروب وجلـوة الندمـاء
يا شعر يا ألق الصباح وخفقة الـ ... قلب المشوق وبسمـة العـذراء
يا واحة امـا تلظـى مهمـة ... بهجيـرة مخضلـة الانـداء
يا دوحـة تهـب الحيـاة نضارة ... ممدودة العذبـات والافيـاء
يا شعر من دنياك وحي خواطري ... ولانت انت سعادتـي وشقائـي
فلكم وهبت عقود نظـم تزدهي ... للغانيـات تمـوج بالـلألاء
ونثرت من روض القريض وزهره ... بطريقهـن بـراعـم الاغـراء
حلم الحسان الغيد سحر قصائدي ... ورجـاء كـل خريـدة هيفـاء
هذي تفاخر أختهـا بقصيـدة ... منـي وتلـك بنشوة الاصغـاء
وتمـر اخرى تستثير قريحتي ... بالنظـرة الملعونـة النجـلاء
تتصنع الصد الكـذوب وشوقها ... شوق التي ظمئت لـورد المـاء
للصمت اعجـاز البيان وفعلـه ... كالسحر بـز بلاغـة البلغـاء
ان العيون اذا تحـدث صمتهـا ... خرست لديها السن الفصحـاء
فبكـل حرف آهـة مشبوبـة ... كادت تلـوج فحمـة الظلمـاء

جامعة بغداد — باقر سماكة

تجد موظفا خطـه يضاهي خطـي حسنا ووضوحا . وفضلا عن ذلـك فانني خبير بجميع اعمال المكتب .

(ابقاك الله رئيسا لنا يـا ناظم بك . يبدو انك رجل طيب وابـن حلال) .

فابتسم رئيس الكتبـة ابتسامة واسعة ثم قال :

ـ اترك هذا الامر لي . اني اعرف كيف ادبر امرك .

(لقد خطوت خطوة كبيرة نحـو هدفي) .

في اليوم التالي كتب ناظم بـك استدعاء على لسان الآذن بلغة منمقة وحجة مقنعة رجا فيـه المدير ان يرفعه الى وظيفة كاتب لقاء خدماته في المكتب وتقديرا لخبرته بالاعمال الكتابية وحسن خطه . فوعد المدير مسعودا بعمل ما فيه الخير لـه . ولكن المدير اهمل الاستدعاء ولـم يعره التفاتا . وكلما سأل مسعود المدير عن مصير الاستدعاء طمأنه وانبأه بانه سيعلمه بالنتيجة في وقت قريب ، ولكـن مضت مـدة طويلة وهو ما يزال آذنا والجواب الموعود لم يرد . وكيف يرفعه المدير وهو في حاجة شديدة اليه ؟ انه ان رفعه الى وظيفة كاتب نقـل الـى مكتب آخر وبذلك يخسره . وهـو فضلا عن ذلك لا يصلح لان يكـون كاتبا ، فان معلوماته الكتابية ضئيلة ولا تقوم على اساس مـن ثقافة او تعليم مدرسي .

وقد ادرك مسعود اخيـرا ان المدير يضحك عليه ، فتغير عليـه وتنمر له . وفـي ذات يوم جرى جدل حاد بينهما كاد ينتهي بلكمة من الآذن على صدغ المدير لـولا ان اكد له هذا انه سيرفع في خـلال شهر . وكان الموظفون واقفين على مقربة من باب المدير يستمعون الى ما يفوهان به من الكلام والى صوت ما يأتيانه من الافعال . وقد سمعوا مسعودا يصيح قائلا :

ـ انني مظلوم . كل يقول انني مظلوم . خطي جميل جـدا لا مثيل له . ولي معرفـة بالاعمال الرسمية كلها . لي عشر سنين وانـا اعمل آذنا في هذا المكتب وانت تعدنـي بالترفيع . فمتى ارفع ؟ لا شك انك انت الذي تقف في طريقي .

وقد خشي حسام بك ان يصيبه من الآذن اذى كبير فلم يجد بدا من ان يسعى لطرد مسعود من المكتب تخلصا منه لشراسة طبعه وعجرفته في معاملة الموظفين جميعا .

وبعد مضي شهر راجعه الآذن ليتعرف مصير استدعائه ، ولكـن حساما بك سلم اليه كتابا بفصلـه عن العمل .

عمان — عبد الحميد الانشاصي



الحركة العربية

(سيرة المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨ – ١٩٢٤)
تاليف سليمان موسى – ٦٨٠ صفحة – حجم متوسط – صادر عن دار
« النهار » للنشر – بيروت . الثمن ١٥ ل.ل.

تعود بعض كتاب الثورة العربية الكبرى ان ينظر الى اهداف الثورة وخططها احدى نظرتين ، نظرة التمجيد الى حد يخرج القول عن نطاق المعقول والواقع ، او نظرة التفنيد الى حد لا يتناسب والوقائع التاريخية او المقاييس المنصفة .

ومع ان عمل المؤرخ الاردني الاستاذ سليمان موسى يكاد يغري بتصنيفه مع رجال النظرة الاولى ، فان التدقيق يخرج القارىء ممتلئا باليقين بان المؤلف قد اتبع المنهج العلمي السليم ، فجاءت احكامه في الاعم الاغلب مجردة صائبة . انه يورد الشواهد المتضاربة ، ثم يرجح بعضها على بعض ولا يتردد بعدئذ في ابداء رايه الخاص .

ان الكتاب ملحمة مندمجة من العرض والشواهد والادلة والاستنباطات ، خرج منها المؤلف بسرد متماسك جذاب . ومع ان هذه الجاذبية تشد القارىء للمطالعة المستمرة فقد يعتورها تكرار يشعر القارىء احيانا بانه يعيد ما بدأ . ولست ادري والحق يقال ما اذا لم يكن هذا التكرار مستحبا في بحثمتعدد الاحداث والتواريخ والاسماء ، طوله ٦٨٠ صحفة ، تؤرخ لفترة لا يزيد مداها على خمسة عشر عاما . فاذا جئت الى دقة الوقائع ووضوح الاحكام وصحة الاستنتاج كان الحكم للمؤلف لا عليه ، كما المعنا ، وتلك نعمة في كتاب نامل ان تقبل عليه الاجيال الناشئة كما يقبل عليه الاخصائيون الخبراء .

وما كان المؤلف ليستطيع الخروج بهذه النتيجة لو كان كتابه هذا اول كتاب يقدمه في الموضوع . ان الثورة العربية الكبرى اختصاص للمؤلف مضى عليه عشرون سنة او اكثر ، وهو مؤلف لعشرة من الكتب لا يخرج معظمها عن موضوع هذه الثورة . وما خرج منها عن صميم الموضوع حام حول البلاد التي وقعت فيها الثورة او الناس الذين شاركوا فيها . وقد تمكن المؤلف من هذه النتيجة لاعتماده على مصادر اصيلة جديدة ، ولنزعته العلمية واسلوبه الهادىء الرصين . وقد قال هو عن نفسه في مقدمته : « كانت الحقيقة رائدي ، لان الحقيقة اجمل واعظم واسمى من كل زيف » .

ولست احب لهذه المقدمة او لهذا التعليق ان يطول ، ولكن يجب القول بان المؤلف سبق غيره في الاعتماد على وثائق « دائرة السجلات العامة في لندن (ومن جملتها وثائق وزارة الخارجية البريطانيه) وملفات دار الاعتماد في جدة ، وملفات المكتب العربي في القاهرة ومحاضر جلسات اللجنة الشرقية » ، التي تنشر لاول مرة بالعربية ، وبغيرها في الارجح ، كما كان الوحيد الذي يعتمد على اوراق المرحوم الامير زيد اصغر ابناء الشريف حسين صاحب الثورة ، واحد الذين خاضوا غمار الحرب بانفسهم . ولم يهمل المؤلف في اعداد كتابه مراجع جامعة اكسفورد واوراقها والمؤلفات التي اصدرها السياسيون والعسكريون الاجانب والعرب الذين شاركوا في القتال او اتصلوا بالثورة بسبب من اعمالهم الرسمية .

وبعد فان الحقيقة الثابتة حول الثورة العربية ، التي تتضح للعيان اكثر فاكثر مع مرور الزمن ، هي ان قادة العرب كانوا قد تحركوا لتحرير بلادهم من الحكم العثماني . وقد وجدوا في الحسين بن علي زعيما لهذا التحرير ، كما نزعت نفس الحسين الى اعادة مجد الامة العربية . لذلك عقد اتفاقية مكتوبة بمراسلات مع بريطانيا ، دخل الحرب على اساسها . وكانت جهود العرب وانجازاتهم الحربية مجدية ناجحة الى حد ذكر بانتصارات العرب الاسلامية . وهو حد لم يطلع عليه اكثر شباب العرب الى الآن . وقد تعهدت بريطانيا بموجب هذه الاتفاقية باستقلال البلاد العربية كلها ، ومعها فلسطين دون ريب ، ولكن باستثناء عدن . ولم تشمل الاتفاقية الا البلاد العربية الأسيوية . وكان قسط العرب ان يخوضوا الحرب مع بريطانيا لجلاء الاتراك عن البلاد ثم ابرام معاهدة دفاعية بين بريطانيا والدولة العربية العتيدة ، تنص ايضا على تفضيل بريطانيا على غيرها من الدول في المشاريع الاقتصادية . ولم تبلغ الثورة اهدافها بسبب من الخداع البريطاني الافرنسي وبسبب من ان الحسين لم يكن يملك القوة العسكرية الكافية .

وعلى الرغم من ان البريطانيين كانوا « المنتفع » الاكبر من نتائج الثورة العربية ، فقد عمدوا الى الختل والخداع مبكرين . وكنا قبل كتاب الاستاذ سليمان نستنبط ذلك استنباطا ، اما الآن فانه ماثل امامنا محررا باقلام مقترفيه . ان وثائقهم نفسها الآن تدينهم ، وان اكثر هذه الوثائق كان مكتوما في وقته ، كما ان مضمونها ينم بوضوح على نية الاستغلال البشع للثورة التي حالفوها . وقد اعانهم على ما اقترفوا صدور السياسة العربية يومئذ عن عاطفة انسانية بسيطة لا علم لها باحابيل السياسة الاستعمارية الدفينة . ففي موضوع اتفاقية سايكس بيكو مثلا قال كلايتون في بيان سري قصد به اعداد اذهان العرب لقبول فحوى الاتفاقية التي جزأت بلادهم : « ان الملك (حسين) لم يكن على علم ببنود الاتفاقية ، فهل تقضي الضرورة بابلاغه الخطوط العامة ؟ ولكن اذا عرف الملك بان بريطانيا وفرنسا عقدتا اتفاقا قبل بدء المداولات ، فستكون هناك مجازفة بان يعتقد بانه لم يعامل بالصراحة والصداقة اللائقين (ص ٣٥٠) . وقال سياسي آخر من الانجليز : « يجب ان تتخذ اجراءات سريعة كي نمنع الشريف والشعوب العربية من ان تتوافر لديهم اية اسباب عادلة لتوجيه الاتهام لنا بالخداع » . (ص ٣٥٩) . والمؤلف يشير في هوامش الكتاب الى ارقام الوثائق والملفات وتواريخها .

وكان يقابل ذلك في السياسة العربية مثل قول المرحوم الشريف حسين في برقية : « الحلفاء اجل واكبر من ان يخلوا بحرف من مقرراتنا معهم » . (ص ٣٧٩) .

ووقع مثل ذلك في قضية « وعد بلفور » .

فقد اصدرت بريطانيا الوعد الباطل في خديعة كبرى . فبعد ان اعلنت الثورة العربية (١٠ – ٦ – ١٩١٦) ، وخف جنودها للحرب بما يقارب السنة والنصف ، وبعد ان لاحت علائم النصر صدر الوعد المشؤوم الذي كان له الاثر السيء العميق الذي نعرفه الآن ، والذي لم « يفد » الاستعمار البريطاني نفسه منه الفائدة التي توخاها ، بعد ان ادركته رياح التغيير الحديث . وكان الانجليز قد اصدروا الوعد في سرية تامة قصد بها الا يطلع حليفهم الحسين على شيء منه حتى يحين

الوقت المناسب . ومن المؤكد انه لم يكن لعربي زعيم او غير زعيم يد في اصدار الوعد الجائر ، او الموافقة عليه . وقد اعتمد الانجليز على الزمن في تسريب الاخبار الى العرب ، حتى قال احد ساستهم عن الحسين بان « الاحداث ستكون اقوى منه ، وانه في نهاية الامر سيضطر اما ان يقبل الامور كما هي او ان يسقط » ، مع ان احد ساستهم قال عن الوعد انه « اكثر الاجراءات غير المتوقعة التي اتخذتها بريطانيا في تاريخها » . وقال هوغارت الذي انيطت به مهمة اقناع الحسين بقبول الوعد انه (اي الحسين) « اشد الدبلوماسيين على الارض تصلبا في الراي ، وهو يعرف معرفة جيدة من اين يمسك بك . انه يعطيني فناجين قهوة معطرة وكؤوس شراب حلو ، ويكرر حبه لنا جميعا ، ولكنه لا يستطيع ان يفعل ما نريد ولا يريد ان يفعل ما نريد » .

ان المؤلف يبسط هذا ويبسط غيره ، وان كان ينحو احيانا قليلة منحى غيبيا في تفسير بعض الاحداث . فقد ضمن تفسيره لصدور وعد بلفور ان لويد جورج صنعته التوراة ، وان بلفور كان « من المتأثرين الى اقصى حد بما جاء في التوراة عن اليهود » . وكان المؤلف يمكن ان يعرف هذا بالاشارة الى تمسح بعض الساسة بالدين لبلوغ اهدافهم الدنيوية .

وللمؤلف نظرية في ان المسؤولية الاساسية في اخفاق الثورة « هي مسؤولية الشعب اولا وقبل كل شيء » . وهو يستشهد على ذلك بكلمة للمؤرخ ارنولد توينبي .

ان الشعب يتحسس ولا يستطيع ان يعمل ، وهو يظل رهن قيادة زعيم . والزعيم انسان مرهف الحس جامع الراي ثاقب النظرات ، يحس بمطالب شعبه وتطلعاته ويرى اتجاه حركة المجتمع البشري الى امام ، فينظم مطالب شعبه ويسوقها بقدر يدفعها اشواطا في طريق المستقبل . ثم يتسلم الرسالة زعيم من بعده . وفي العصر الحديث يكون الزعيم ايضا جماعة او حكومة . ولست اجد ان المؤلف الكريم يرى ان العرب لم يخفقوا الاخفاق كله في ثورتهم العربية الكبرى ، كما لم يخفقوا في ثوراتهم الصغرى المتتالية بعدها الى اليوم ، ومنها الثورة في وجه الصهيونية . والنتيجة الآنية الشكلية ليست قياسا ، وخاصة مع استمرار النضال . ولو اننا انعمنا النظر لوجدنا نتائج الثورة العربية في استقلال العراق وسورية ولبنان ودول ناهضة في الجزيرة ، كما نجدها في نهوض الامة العربية في مجالات العلم ومكونات الحضارة . بقي التغلب على التجزئة ، واننا لنرى محاولات هذا بارزة امامنا . وبقيت الصهيونية ، وهي حركة رجعية تغاير سير الزمن ، ولا تلبث الضربات الثورية الواعية ان تقضي عليها الى غير رجعة .

ومع ذلك فلعل المؤلف قصد شيئا من هذا حين قال انه يرى « اخفاق الحسين اعظم معنى من انتصار خصومه » (ص ٦٦٧) ، ولو اني شرحت هذا القول الجميل لاتيت باكثر من دليل عليه فيما نرى من يقظة العرب المتعاظمة السريعة المخيفة لخصومهم ، وفيما نشاهد من تراجع الاستعمار عن معاقله واحدا تلو الآخر .

عمان ـ الاردن **محمد اديب العامري**

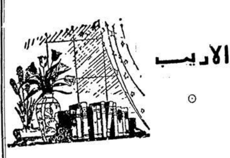
●

دراسات في الادب العربي والتاريخ

تأليف محمد عبد الغني حسن ـ ٣٩٢ صفحة ـ منشورات الهيئة العامة للتأليف والنشر بالقاهرة

تتجلى الملامح العريضة في هذا الكتاب ، اكثر ما تتجلى ، في هذه القضايا الجديدة التي عرض لها المؤلف من خلال دراساته الواسعة ،

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

واطلاعاته الكثيرة الواعية .

ولقد تثير هذه القضايا التي تناولها الاستاذ محمد عبد الفني حسن التساؤلات اكثر مما تثير التسليم الذي عودنا اياه الباحث في جل تواليفه ، وجملة مصنفاته التي تلعب الآن الدور الخطير في تشكيل المكتبة العربية ، وتأخذ وضعها بين اللدات الفضليات في الوطن العربي الكبير .

أثارت هذه الدراسات الواعية جملة تساؤلات ، كان اكثر الباحثين يقفون حيال بعضها موقف الريب او التشكك او الوقوف دون رأي ، اللهم الا ما كان يجري داخل المنتديات ، او داخل النفوس ، او ما يكتنف العقل ، وهو يراجع ، او يعتور التفكير حين يهم باليقين او القطع او الانتهاء الى رأي في مثل هذه المشكلات التي صاحبت الادب هذه الاعمار العديدة .

والتوفيق الذي صادف الاستاذ محمد عبد الفني حسن في هذه الدراسات يقل بحال من التوفيقات التي صاحبته في اكثر القضايا التي عالجها ، او وقف لها بالتجلية والوضوح والبيان . على ان المحامد تقصر عن الاتساع اذا قلنا ان بعض قضايا هذا الكتاب لم يتناول من قبل ، او لم يعرض له بالدراسة ، او لم يفتح بابه الا بعد ان راده الاستاذ محمد عبد الفني حسن في بعض مجلات العالم العربي، او صحفه المنطلقة ، فكانت دراسات ودراسات بنيت على الحاصل الذي هدي اليه الباحث او النتيجة التي ختمت بها الدراسة .

وما نعلم ان باحثا من البحاث تعرض لمراثي الشعراء لنبي هذه الامة العربية ، وما خطر لدارس ان يجمع رسائل الآباء الى الابناء ، او يعرض بالتحليل للاخوة الادباء والمؤلفين ، او عرف ان ابن خلدون كان شاعرا غير ما صح للدراسة التحليلية المقارنة . على ان المضي في سرد بعض فصول هذا الكتاب لا يغني عندي عن الوقوف امام هذه القضايا الخطيرة التي اصبحت مدار بحث ، ونقطة تحول في الدراسات الادبية الجادة ، وان كان العرض والاستكناه والمناقشة هي محك هذه القضايا التي جمعها هذا الكتاب بعد طول المعاناة والممارسة ، والبحث والتقصي ، والتعب والجهد .

يعرض الاستاذ محمد عبد الفني حسن للاخوة المؤلفين في الآداب، ويسرد طائفة من هؤلاء الاخوة الذين اشتركوا في عمل واحد . ويحلل الاثر الذي اشترك فيه الاخوان او الاخوات ، ويدفع الى الاستغراب كما يساق الى الظن اذا اشترك شقيقان في بحث واحد او قصيدة واحدة ، او نظما ديوان شعر برمته ، حتى وقف المؤلف مع المعري في عجبه من اشتراك الاخوين الخالديين : ابي بكر محمد وابي عثمان سعيد ، في ديوان شعر واحد .

ولعل الفصل الذي عقده الباحث حول رسائل الآباء الى الابناء يعد من الفصول الممتعة التي ضمها الكتاب . فالغاية من هذا الفصل الدراسة ليس الجمع واطلاع القارىء على هذه الحصيلة التي وعاها المؤلف ، وان كان الدافع اليها تنشئة البنين تنشئة صالحة على اساس من الخلق والمعرفة .

والذي يلفت في هذا المساق ، ليس وحده هو هذه الثروة المخبوءة التي كشف عنها الباحث ، وانما المناقشة والادلاء بالراي ... فحين يعرض الاستاذ محمد عبد الفني حسن لرسائل احمد حافظ عوض ، واحمد امين يهمه الوصول الى السر في كتابة هذه الرسائل ، والفرق بينها . فاحمد حافظ عوض كتب رسائله الى ولده المغترب في سبيل العلم وخص بها ولده ، ولم يستحضره في ذهنه حين كان يكتب ، وانما كان الابن حاضرا ... والثاني – اعني احمد امين – كتب الرسائل الى ولده على مرأى ومسمع من الناس . ولعل الناس قرأوها في مجلة الهلال بمصر ، قبل ان يقراها الابن في انجلترة . ولعل الاب لم يخص ولده بهذه المنشورات رسالة ، رسالة ، وانما اكتفى بان يطلع الابن عليها منشورة في المجلة .

ويعنى المؤلف الفاضل بفارق آخر يمضي به في اثبات حجة في الفوائد الجليلة في هذه الرسائل ... ذلك : « ان رسائل حافظ عوض قد نشرها ابنه في كتاب قدمه هو بنفسه ، ضنا بنصائح والده . واما رسائل احمد امين فقد جمعها هو بنفسه وقدمها ، مؤملا ان ينتفع بها الجيل الحاضر ، كما انتفع بها ابنه » .

على ان الدلالة الصادقة على التقسيم الفرقي بين رسائل الرجلين، لا تخلو من همزات القطع التي وضعها الباحث على جل مسائل هذا الباب ... فيبدو المؤلف في هذه المناقشة ناعم الملمس ، حلو اللمسات. وان كنت انا شخصيا اتلمس له كثيرا من الآراء المعصوبة التي يتبينها المدقق في مساق هذه الآراء ...

ولا يعترضن معترض ، ان كان المؤلف له وسط هذا العجاج رأي يريد ان يفصح عنه ، وان كان من طرف خفي ... فالاستاذ محمد عبد الفني حسن يمشي الهويني ، وهو يسرد او يناقش ، ولكنه يقف ليحاسب ، وان كان في حسابه سليم النوايا ، مامون الجوانب ... ففروق الزمان بين رسائل احمد حافظ عوض ورسائل احمد امين – وهي فروق قليلة لا تزيد على الثلاثين عاما – تريه الفرق بين عهد وعهد او بين مهد ومهد . وان كانت الفوارق هنا لا تغني عن الدفاع ، او تقدم حجة على عصر وعصر ، او عهد وعهد ، او بيئة وبيئة . ولكنها فوارق يفصل فيها التزمت بين عقل وعقل ، وان تلمس لها المؤلف الاعذار ، وجمع لها من الادلة العقلية ما يعم به النفع ، ويتم به القصد .

ويذهب المؤلف الباحث الى الاندلس حيث يجد علي بن سعيد وأباه موسى ... ويثبت الحوار الذي دار بين الاب وابنه في ابيات له ، وفي قصائد لشعراء آخرين . ثم لا يغنيه ما دار من حوار شعري بينهما ، فيسلك واياه طريق النصح النثري الذي هو مجال هذه الرسائل ، وميدان حكمائه ، ومسرح التمثل والتمثيل فيه ..

ولم يفت المؤلف – وهو يوفي دراسته – ان يذهب الى العصر الجاهلي ، ويوغل في صدر الاسلام ، ويثبت نصيحة عمر بن الخطاب لابنه عبد الله ، ونصيحة علي بن ابي طالب لابنه الحسن ، ثم يدخل العصرين : الاموي والعباسي ، ويثبت اشهر رسائل النصح التي وردت فيهما . ثم هذا النقد الناعم لاحمد امين وهو يضع امام ابنه قصة لقمان لابنه ونصيحته له ، التي تعد نموذجا واثرا ، وان اثارت في النفس اسئلة عجيبة كثيرة عن شخصية لقمان ولغة رسالته : أكانت العربية ام اختا من اخواتها السامية ؟ وعن كيفية وصول هذه الرسائل الى الادب العربي ؟ ومن الذي وضع اول نص عربي لها في تراثنا ؟؟

ويتحدث المؤلف عن الاساليب الكتابية للرحلات العربية في القديم والحديث ، ويتابع الاهتمام بالخلافات بين كل رحالة وآخر من حيث المنهج والاسلوب والرؤية والتصديق والاتصال والمحاولة والدراسة والموازنة والاستعداد والقبول والارتياح والولوع . ويصاحب المؤلف الرحالة في مذاقهم الخاص في تدوين رحلاتهم ، ثم يختلف – ان كان ثمة ما يستدعي الاختلاف – في النظر الى الرحلة ، او الوصف المشاهد ، او الطعم الذي يؤثره هذا الرحالة على ذاك ... فمن ابن جبير الى ابن بطوطة الى فارس الشدياق الى امين الريحاني الى رفاعة الطهطاوي الى فتح الله الصقال .

ولقد كان الاستاذ محمد عبد الفني حسن محقا في عقده فصلين من : « اصول الالفاظ المعربة » ، و « غايتنا من احياء المخطوطات » .. فلغات العالم كله عرضة للاخذ منها او لاخذها هي من غيرها ، سواء أكانت غالبة أم مغلوبة . وليس في هذا الاقتراض او هذا الاخذ من بأس ما دام يسد حاجة عند المقترض ... كما يسد المال والمتاع حاجة عند الاقتراض ... ثم تلك المناقشة الطريفة التي عمر بها هذا البحث عن المفردات المعربة في اللغة العربية ، الى الالفاظ المعربة في القرآن الكريم وآراء بعض العلماء فيها ...

غير ان الغاية التي انتهى اليها المؤلف من احياء المخطوطات هي

الاختيار والربط الذي يربط الامة العربية بثقافتها القديمة ربما يكون ذا صلة قوية بين هذا الحاضر ، وذلك الماضي ، بعد الغربلة وازالة ما لم نكن في حاجة اليه .

والواقع ان حركة احياء التراث على هذه الصورة لما يبعث على الجور على مجهودات علماء اعلام ، تركوا تراثهم الى حركة البعث التي تنتظره في يوم من الايام ، او حركة الظهور في ازمان قد ترجع اليها ان هي راجعت ما فيها وعرفت شأن هؤلاء العلماء . ولكن ان نحن اهملنا هذا التراث وقصرناه على ما يربطنا بما فينا دون غيره من سائر الاتجاهات ، كانت النتيجة بتر هذا المجهود والقضاء على هؤلاء الاعلام ، كالذي نفعله اليوم في عملية الاختصار والحذف لبعض هذه الكتب ، ونتناسى ذلك المجهود ، او تلك المجهودات التي عكف عليها الذين اولعوا باثبات الاسانيد والرواة ، وان كان سيقف هذا الاثبات حائلا ، او يكون سببا في تعطيلنا عن المضي في ركب العلوم والثقافة العالمية المعاصرة .

والدقة والضبط في معاجمنا اللغوية اكثر ضرورية واكثر لزومية . فالمعنى لا يبلغ كماله ولا يصل الى السامع او القارىء دقيقا او محكما ، الا اذا كان معتمدا على الدقة ، مرتكزا على الامانة ، والا كانت البلبلة والاختلاط وعدم الوضوح ، او كان هذا الضد الذي يفسد هذا المعنى ، ويستحيل الى غير ما اريد له ... لذلك كان هذا الراي الذي دعا فيه الاستاذ محمد عبد الغني حسن الى المراجعة والمعاودة بالضبط والتحقيق والغربلة والنخل لهذه المعاجم ، حتى يكون هذا الربط بين هذا التراث الحاضر وبين كنوزنا في القديم ...

ويمضي الحديث في هذه الدراسات الى مؤلفات الغزالي وآثاره ، والافتراق بين الاخوين ، وراي الفرنجة والمؤرخين العرب فيه ، وما قد أصاب مصنفات الفيلسوف من تغيير في عناوينها ، فبدت وكأنها كتب جديدة غير كتبه المتعالمة المتعارفة ، ونقده وانصافه ، حتى تعدى هذا الانتصاف رجلين في كتابين ، هما « محاضرات الادباء ، ومحاورات الشعراء والبلغاء » للراغب الاصفهاني ، و « المستطرف ، في كل فن مستظرف » للابشيهي .

ثم يقف المؤلف الفاضل وقفة كبيرة امام هذا الباب من ابواب الشعر الذي لم يجمع في كتاب ، ولم يتناول بالدرس والشرح والتحليل ، اللهم الا تلك السطور التي وردت متناثرة في بعض الكتب ، وتضاربت حولها الاقاويل ، حتى ليروع المطالع لاخبار الرثاء انه لا يجد في كتاب الطبري ـ على طوله وضخامته وتوسعه في اخبار الرسول وولوعه برواية الشعر المناسب لاحداث التاريخ ـ بيتا واحدا من قصيدة رثى بها النبي عليه الصلاة والسلام .

ويحسب الاستاذ محمد عبد الغني حسن ان يكون له فضل هذا الباب ، والالمام به والتوسعة فيه . فقد تابع المناقشة لابن الاثير في كتابه « الكامل » ولابن هشام في « سيرته » ، وما قاله حسان بن ثابت في صاحب الدعوة الكريمة ، وانفراده بين شعراء المراثي للرسول بعاطفة خاصة ، عن شعور شخصي وانفعال ذاتي ، نبعا من لصوقه بالنبي الكريم ، فضلا عن شعور الرثاء العام ، المعبر عن عظيم المصيبة ، وفداحة الخطب بالمرثي . وان كانت هذه المراثي لم تقف وحدها على حسان بن ثابت ، بل شارك معه شعراء وشواعر في الرثاء العام للنبي عليه الصلاة والسلام .

وليس ينهض دليلا على المعاناة هذا الباب وحده ، فقد لحق به عدة ابواب هي : الحوار في القصيدة العربية على مختلف مراحله في جميع العصور ، الى جانب الحنين الى الاوطان في الشعر العربي ، الى تصوير الشعر الحديث للفقر والغنى ، الى الحياة في الشعر العربي . غير شعراء النخيل واللهيب والنسيم ...

ولا اخالني بحاجة الى الاعتراض على الحجية التي دفعت الاستاذ محمد عبد الغني حسن الى ضم هذه الموضوعات التي احتواها موكب التاريخ ، فما احسب الكتاب في حاجة ـ بعد ما حمل من هذه الدراسات الخطيرة ـ الى الثورات في المجتمع الاسلامي ، والمعاهدات والمهادنات في الاسلام ، وصور الحيلة والدهاء ، وعنصري الحيوية والاعلاء ، وهذه اللقاءات ، مع الغزاة والفاتحين ، والمهن والمجتمع العربي ، والفكر العربي بين الاستظهار والتفكير والتجربة ، وكتابة السير والتراجم ، وملاحظات الجبرتي ، وابن خلدون والشعوبية ، والتصوف والدعوات الملتوية ، والسلام ومناهضة الحروب ...

اقول هذا ، واعطي لنفسي الحق في الاعتراض والدفاع ... الا ان يكون باحثنا الجليل يريد اثراء المكتبة العربية بهذه الاطلاعات المرموقة في التاريخ ، بعرضه المعروف بالاستطراد والمناقشة ، ومساق حوادث هي انفع للادب واثرى للاديب . ان الراي عندي ان تكون كتابا بذاته ، يتوسع في بعض ابوابه ، ان لم تكن كتابين ، يراعي في احدهما التناسق بين عدة الابواب التي يجمعها ، ويلاحظ في ثانيهما الربط بين الموضوعات التي يقع عليها الاختيار .

لكن مهما كان الامر ، ومهما وقع هذا الاعتراض ، فدراسات الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، لا يتطرق الى طرافتها ونفعها اي شك ، او تصاب على مر الازمان بالوهن او الضعف ، فهي دائما محل تقدير البحاث ، وملتقى لكثير من الآراء ، ويتعين ان تكون مراجع بجانب انها آداب وتاريخ ... تعلم ، وتحلل ، وتخلق في الدارس الاهتمام ، وتنبه فيه الوعي . وما اعتراضي الا على الشكل بالتقسيم والتبويب ، لا على الدراسة في ذاتها ، او المعالجة في نفسها . وهذا ما يجعلني دائما انتفع بها ، واستفيد من مطالعتها ، وافيد من شحناتها الديناميكية التي تخدر العقل ، وتجعله دائما مشدودا ومندفعا الى البحث عنها ، وفي اي مكان ...

القاهرة — ابو طالب زيان

•

لكل اغنية قصة

تأليف احمد عبد المجيد ـ ٢٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ مطبعة الكيلاني بالقاهرة

يحتوي كتاب « لكل اغنية قصة » على دراسة موضوعية لتطور الاغنية العربية منذ فجر الجاهلية حتى وقتنا الحاضر ومن راي المؤلف ان الغناء هو المنطلق الذي يعبر به ناظمه وملحنه ومغنية ومردده ، عما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس ، وهو المتنفس الذي يجد طريقه سهلا هينا الى الاسماع المترقبة له لتحتفل به مع من صاغوه وتغنوا به وأدوه . وقد احتوى الكتاب على مراحل تطور الغناء واثر الغناء في حياة الشعوب التي يرى انه ضرورة اجتماعية ووطنية ودينية وعسكرية كما يرى ان الاغنية هي اصدق ترجمان للشعوب وما تقلبت فيه وما تطورت اليه .

ثم تناول المؤلف قصة الغناء العربي في بداوته وتطوره مع الزمن في الجاهلية والاسلام والم بفن الموشحات القديم منها والحديث واستخلص من ذلك مدى تطور الموسيقى ومواكبتها لدرجة الحضارة التي تبلغها امة من الامم .

ثم عرض الاستاذ احمد عبد المجيد لقصة الغناء في مصر في عهد الموال والدور والتخت والتطريب وتحدث بعد ذلك عن الغناء المسرحي في مصر ثم عقد فصلا مطولا عن دور سيد درويش في تطوير الموسيقى الشرقية وتلحين الاوبريت ثم تبعه بفصل آخر عن رسالة أم كلثوم في عالم الغناء ودورها في اداء الاغنية .

ثم تحدث المؤلف باسهاب عن دور محمد عبد الوهاب في تطوير الاغنية العربية كما أفرد فصلا للفنون الشعبية « الفولكلور » وتحدث فيه عن ظاهرة اهتمام كافة الدول بها وذكر ما اشتهر من الموسيقى الغربية على النطاق العالمي واختتم تلك الدراسة الموضوعية الدسمة بتدوين مجموعة الاغاني التي غناها محمد عبد الوهاب له وذلك في المدة من عام ١٩٢٥ الى عام ١٩٣٠ مثل « كلنا نحب القمر » و « مريت على بيت الحبايب » و « يا ترى يا نسمة » الى غيرها من اغاريد الشباب العذبة .

ويعد هذا الكتاب بحق الاول في موضوعه في المكتبة العربية فقد تناول قصة الغناء وتطوره واثره في حياة الشعوب وابرز اعلامه بطريقة منهجية موضوعية كما ان اسلوب المؤلف الرصين الرقيق اضفى على الكتاب مسحة من الادب الرقيق النابض بالعذوبة والرقة ولعل هذا يرجع الى كون الاستاذ احمد عبد المجيد من أرق الشعراء الرومانسيين الغنائيين المعاصرين .

ويعد الاستاذ احمد عبد المجيد من أرق شعراء الحب والجمال في شعرنا العربي المعاصر ويتسم شعره بالرقة والعذوبة والحرارة والابتكار الاصيل والصدق الفني .

وقد اصدر ديوانا من شعر الحب والغزل بعنوان « همسات » يحوي اعذب ما نظم من شعر الغزل والحب . كما قد صدر للاستاذ احمد عبد المجيد كتاب دسم نفيس يضم أصول وقواعد دبلوماسية وابحاثا في السياسة الخارجية بعنوان « اضواء على الدبلوماسية » استقى مصادره من ممارسته للدبلوماسية مدى ثلاثين عاما حتى بلغ مرتبة السفير .

وبعد ، فهذا كتاب نفيس وفريد في نوعه للشاعر الدبلوماسي الفنان الاستاذ احمد عبد المجيد وهو جدير بالقراءة من كل متذوق واديب وباحث .

القاهرة محمد محمود رضوان

•

ابن حزم الاندلسي : حياته وادبه

تاليف الدكتور عبد الكريم خليفة ـ ٢٧٧ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الاقصى بعمان والمكتب الاسلامي ودار العربية ببيروت

تفضل الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس الجامعة الاردنية مشكورا فاهداني نسخة من كتابه القيم « ابن حزم الاندلسي : حياته وادبه » وقد صدر للمؤلف كتب اذكر منها «التربية واصول التدريس»، « اخوان الصفا وخلان الوفا » وكتاب اخر نشر بباريس وباللغة الفرنسية عن الفرنج .

اما الكتاب الذي نحن بصدده الآن فانه يعد بحق من اهم ما كتب عن هذا الفيلسوف العبقري حتى الآن . وقد امتاز المؤلف الدكتور خليفة بثقافة متمكنة واسعة كانت من عوامل تقييم هذا الكتاب ولا نقول ان ثقافة الكاتب كانت كل شيء في كتابه هذا .. بل كان هناك الجانب الذي لا بد من ملاحظته وهو تهيؤ الكاتب من الوجهة النفسية والاستعداد الوجداني والذاتي لقراءة تلك الحصيلة الضخمة من المؤلفات عن شخصية ابن حزم وعبقريته الفذة والتي اثبت كمراجع في ذيل الكتاب .

تناول المؤلف في الفصول الاول والثاني والثالث في البحث والدراسة سيرة ابن حزم ومقوماته الشخصية وثقافته واثاره وآفاقه الثقافية والعلمية وجدله ومناظراته ورسائله في فضل الاندلس وذكر رجالها وفي تهذيب الاخلاق والزهد عن الرذائل ثم اورد المؤلف فصلا خاصا عن كتاب ابن حزم الشهير في الحب والعشق وهو طوق الحمامة في الالفة والآلاف وذلك في الفصل الرابع .. اما في الفصل الخامس والاخير فقد اقتصر على ذكر شاعرية ابن حزم وتعدد اغراض الشعر عنده من رثاء او تفجع او حكمة وزهد في ذلك الاتجاه البارز والذي بدا في شعره .

وصف المؤلف ولادة ابن حزم ونشأته بقوله : ولد صاحبنا الامام ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بقرطبة بالجانب الشرقي في ربض منية الحفيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الامام من صلاة الصبح اخر ليلة من شهر رمضان سنة اربع وثمانين وثلاثمائة بطالع العقرب وهذا نص عجيب الدقة ، فقد روى عن صاعد اللغوي البغدادي ان ابا محمد ابن حزم قد كتب له بذلك بخط يده ، وقد ولد في بيت والده الوزير بقرطبة وكان قد مضى على الوالد ثلاث سنوات في وزارة الحاجب المنصور .

اما نشأته فان المؤلف يقول في موضع اخر من الكتاب .. نشأ صاحبنا ابو محمد نشأة مترفة في قصر ابيه ابي عمر احمد بن حزم بضاحية الزاهرة التي وصفها المؤرخون اجمل وصف ورسم الشعراء لها صورا بقيت على الدهر حية ناضرة تعيد للخيال صورة تلك الضاحية الجميلة بعمرانها البديعة وبساتينها الغناء .. قال فيها الشاعر :

انظر الى النهر فيها ينساب كالثعبان
والطير يخطب شكرا على ذرا الاغصان
والروض يفتر زهوا عن مبسم الاقحوان
والنرجس الغض يرنو بوجنة النعمان

لقد كانت الزاهرة حيث ولد ابو محمد هي حي الوزراء ورجال الحكم وان شئنا فهي حي الارستقراطية الحاكمة في الاندلس في تلك الفترة .

اما ابوه الوزير احمد فقد كان من اهل العلم والرواية ويحدثنا عنه الحميدي في كتابه « الجذوة » فيقول « احمد بن سعيد بن حزم بن غالب ابو عمر الوزير والد الفقيه ابي محمد . كان وزيرا في الدولة العامرية ومن أهل العلم والادب والخير وكان له في البلاغة يد قوية سمعت ابا العباس احمد بن رشيق الكاتب يقول : كان الوزير ابو عمر بن حزم اني لاعجب لمن يلحن في مخاطبة او يجيء بلفظة قلقة في مكاتبته لانه ينبغي له ان شك في شيء اخر يتركه ويطلب غيره فالكلام اوسع من هذا او كما قال وهذا لا يقوله الا المتبحر الواسع العلم » .

في مثل هذه البيئة المشحونة بكل ما يدعو اليه الترف والفكر والعلم ولد وعاش صاحبنا الامام الاديب الفيلسوف ابن حزم وتلك اسرته التي انجبته .. وتلك معالم قرطبة قبلة العلماء والمفكرين والتي نشأ فيها وترعرع فكان لذلك اثر كبير ومدى بعيد في حياة ابن حزم وفي توجيهه الوجهة السياسية والفكرية التي اختطها لنفسه .

اما فيما يتعلق بوصف شخصية ابن حزم وكيف كانت افاقه العلمية والثقافية فان المؤلف يذكرها في الفصل الثاني او يقول : كان ابن حزم ذا شخصية فذة حدة ذكاء ، وحضور بديهة وارادة قوية بالاضافة الى هذه المزايا الفكرية . كانت عنده صفة اخرى لازمة للعلماء وهو الصبر والجلد والمثابرة وقد وصفه صاحب كتاب النفح بقوله (وعلى الجملة فهو نسيج وحده) .

ثم يقول المؤلف الدكتور خليفة عن ابن حزم ـ كان ابن حزم ذا علم غزير وثقافة واسعة شاملة لانواع المعارف في ذلك الوقت وكان الى ذلك عميق النظر حر التفكير ، دقيق الملاحظة بعيدا عن الخرافات والاوهام وصفه ابن حيان فقال « كان ابو محمد حامل فنون من حديث وفقه ونسب وجدل وما يتعلق باذيال الادب مع المشاركة في كثير من انواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة وله في بعض تلك الفنون

كتب كثيرة » وهو بثقافته الواسعة كما وصفه ابن بسام « البحر لا تكف غواربه ولا يروي شاربه » وعنه يقول ابو القاسم صاعد ابن احمد « كان ابو محمد اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة .. مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه في البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاخبار » وتجمع الروايات التي بين ايدينا على الاشادة بفضله وبمواظبته على التاليف حتى قيل انه جمع عنده بخط يده ومن تاليفه نحو اربعماية مجلد شمل على قريب من ثمانين الف ورقة .

وفي الفصل الرابع يتطرق المؤلف الى كتاب ابن حزم وطوق الحمامة ـ ويقول ان ابن حزم اعتمد في تاليف الطوق على الفلسفة ونصوص القرآن والحديث والمأثور من اقوال الصالحين كما اعتمد على الاستقراء والتتبع نتيجة ملاحظاته ومشاهداته مما جعل الطوق تسجيلا لظاهر السلوك البشري اذ يحاول رد الظواهر الى بواعثها النفسية محاولا الكشف عن النواميس التي تسير الانسان في عواطفه الانسانية نحو الجمال . وقد اقتصر في اخباره على ما رأى او صح عنده ولم يعتمد على قصص عشاق العرب لان سبيلهم غير سبيله على حد تعبيره فهو لا يمتطي مطية سواه ولا يتجلى على مستعار .

اما شاعرية ابن حزم فان الدكتور خليفة قد افرد لها الفصل الخامس والاخير وهو يقول في ذلك : ارتاض ابن حزم صناعة الشعر ولا سيما تلك المساجلات الرائعة .. بين شعراء الاندلس وادبائها كابي العلاء صاعد وابن العريق وابن شهيد والزبيدة . وقد نشأ صاحبنا كما مر بنا نشأة شاعرية في وسط بيئة تزخر بالحب والجمال فتفتحت احاسيسه ومشاعره الوجدانية في وقت باكر ونظم الشعر قبل ان يبلغ سن الحلم .

ها هو يصف جارية جميلة في موقف من مواقف اشتعال نار الحب على هذه الصورة :

كانها حين تخطو في تاودها ... قضيب نرجسة في الروض مياس
كانما خلدها في قلب عاشقها ... قضية من ومضها خطر ووسواس
كانما مشيها مشي الحمامة لا ... كد يعاب ولا بطء به باس

وغير هذا وذاك فان الكتاب زاخر مليء بالزخم لا يسعنا لضيق المجال الوقوف على كل ابعاده ومحتواه .

ولقد كان مؤلفه الدكتور عبد الكريم خليفة صاحب اسلوب يتسم بالرشاقة والطلاوة والتناسق وحسن النظام . والمؤلف يتمتع من حسن الفهم والاستدلال والتذوق لاحوال ابن حزم الشيء الكثير .

ولقد جاء الكتاب بحثا عميقا وفكرا هادئا امتزج فيه عقل المؤلف ووجدانه مع عقل ابن حزم ووجدانه لتكون لنا هذه الدراسة الواعية الوافية وان لنا الامل في ان يمدنا الدكتور عبد الكريم خليفة بدراسات تكشف لنا عن عبقرية الاباء والاجداد .

عمان ـ الاردن **محمد ابو صوفه**

•

رحلـــة الخفـاش

مجموعة قصصية ـ بقلم محمد رؤوف بشير ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات دار الآداب ببيروت

كتاب ضم مجموعة قصص من تاليف المحامي محمد رؤوف بشير ، من سورية .. يطرح في السوق الادبية من بيروت .. وخلافا للمثل القائل : « مزمار الحي لا يطرب » فقد اصغيت الى هذا المزمار فسمعت نغمات دخلت القلب ووقرت فيه ، واخرى رحلت عنه . بدات اتقصى ابعاد المناخات المتعددة التي أغنته برصيد وافر من المعاناة والرؤيا .. أبحث بصراحة عن النغم الصارخ في همس ، المصور آلام الامة وآمالها .

ويعلم الجميع انه من غير المعقول واللامعقول ان يظل الفنان ناسكا في الفن ولاجله ، بعد ما حل بنا وما نحن في سبيله لبناء الذات العربية وهزم الهزيمة وتقديم المديد من الشهداء ارضا وجوا .. ليس من المعقول واللامعقول ان يتأفف الفنان عندما يطالب بالالتزام .. وبتعبير اخر ان يحس بوجوده من خلل وجود الاخرين بعد ان عبر أدباء ما قبل النكسة عما في نفوسهم صدقا او تقليدا .. واستعاروا اصابع غيرهم في اللامعقول والتجريدية والعبثية المستوردة .

بعد هذا الجنوح يبحث القارىء المثقف ، وحتى العادي ، ناهيك عن الناقد ، عن بصمات الحالة الفكرية والاجتماعية وحتى النفسية في نتاج هذا الفنان الذي بزغ نجمه في سماء حلب القصصية حديثا .. سوف يجدون جميعا هذه الروح الحساسة الذاتية تحت شمس حزيران والمتمردة على ثلوجه .. النفس القلقة التي تحمل متاعب صاحبها ومتاعب غيرها .. فينجح غالبا في طرح احساساته والتعبير عنها بروح صادق وطني ، ولكنه في احيان يتعثر في صياغتها ..

وتتمثل هذه الاحساسات الدافقة في « رحلة الخفاش » و « بطاقة معايدة » و « اعطني قبرا » و « رحلة الى القمر » و « القبور المتحركة» و « السحاب والمطر » ... الا ان ثمة قصصا قد استكملت اسباب الابداع الفني ، اولاها « رحلة الى القمر » .. القصة الفنية ذات الحبكة المحكمة والمشوقة .. طرح من خلالها ازمة الانسان العربي الذي أحس بالماساة فوجد بعينها ان مدينته ليستسوى متحف قديم لحضارة ميتة ، وشعبه كرنفال ، ومن ثم يحس ان الجنس ذو حدين : مهربا من ماساة ، واثباتا لتفوق على عدو من خلال تجربته الجنسية مع السائحة الشقراء ، يقول : « كأن الجنس صار له طعم الماساة او ان الماساة اضحت الوجه الثاني للحب » .. وبعد ان يدرك عدم جدوى هذا السلاح في حده الثاني بخاصة يرفض ان يستورد كسلعة الى بلاد الغرب كالبترول مثلا ، ويخبر السائحة برغبته في زيارة لندن لدراسة الدكتوراه في العلوم ... لا ريب ان القارىء سوف يسر لهذا التطور الدرامي المعقول فكرة وبناء فنيا ..

وتطالعنا ، بعد هذه القصة التي هي واسطة العقد الجميل ، قصة « رحلة الخفاش » التي يرصد فيها القاص انسانا مثقفا عذبته ماساة حزيران وارقته اصداء المعارك .. فديدنه الهرب من مدينة الى اخرى .. ويموت .. وبموته تموت الانهزامية من مواجهة المصير والثورة ... المضمون هادف .. لولا بعض الهنات فيها : هربه الى القاهرة .. فهل القاهرة بعيدة عن جو الحرب ؟ استعمال اللوغاريتما وآلات القياس للاستدلال على مدينة في شمال سورية ! وكذلك امتداد الزمن امتدادا واسعا مما يقلل من قيمة القصة ..

هذا ويبدع القاص .. بثورته وروحه المتمردة على احياء اموات في قصة « القبور المتحركة » مسلطا الاضواء الباهرة في وجوه المحنطين من الاحياء ممن دخلوا متحف التاريخ فيقسو بالحقيقة عليهم.. وفي وجوه الفئات المتطورة والتي أخذت من الحضارة الحديثة بهرجها.. خاتمة القصة تمرد على كل زيف .. لو كانت ثورته على المصلحين الميكانيكيين موزعة بالمثل على من هم احق بذلك ؟! ...

واما قصة « اعطني قبرا » .. فقد صورت قطاعا من الجدير ان يصور للرأي العام ليرى مآسيه وآلامه .. وما هذا القطاع الا مخيمات النازحين واللاجئين .. اما بطل القصة الشيخ الذي قتل ابنته مدعيا انها جائعة تارة ، وتارة أخرى كي لا تكون عائقا سواء ان عادت معه الى ارضه المسلوبة او بقيت ... فهل لكل العائدين ان يقتلوا بناتهم خشية املاق او لكي يمهدوا طريق عودتهم ؟ بكلمة اخرى اراد القاص بشير طرح حادثة جرت وصورها بلا تعليق .. وترك للقراء مهمة ذلك !

وأحب ، قبل الانتقال الى قصصه الاخرى ذات الطابع الذاتي

الوجداني .. ان اقول ان الاستاذ بشير عندما اراد الثورة علق على مظهر الانسان الخارجي وغفل عن تصوير دخائله .. وصاحب الوجه الملائكي ذو العينين البريئتين الذي كان وراء مقتل الممثلة شارون تيت الذي جرى في امريكا مؤخرا .. تضطر الانسان الى التأني بالحكم من خلال الظواهر فقط .. فالقاص كرر كلمة (كروش) اكثر من مرة واصفا الآغا في « السحاب والمطر » .. وغير ذلك من النعوت المنبثة في قصص اخرى ... هذا المآخذ البسيط لا يقلل من جوهر القصة ، هذه القصة التي وردت على لسان احد القرويين عبد الخالق عبد المعطي .. يروي قصة الآغا و (سيروب) الظالمين .. لو لم يستدرك القاص في ص ١٦١ قائلا : « قوت لا يموت » على حد تعبير عبد المعطي .. كذلك لو لم ينه القصة بأن عبد المعطي خرج من السجن وبرئت ساحته بفضل القضاء العادل ..

وفي الطرف الآخر تقف بقية القصص ، وقد داعب المؤلف بنغماتها الوجدانية الذاتية اسماع الآخرين .. وهي نغمات معذبة وقلقة ايضا : انه الانسان في ذاته وفي ذوات الآخرين .. الكل ينضوي تحت رواق الآلام .. صور المؤلف احساس الطفل المبكر بالموت في قصتيه « الشتاء والطفلة » و « قليل من الحب » ، وكذلك اجترار عاشق متزوج ذكريات ابتعثها من جديد في قصتيه « الربيع العائد » و « الخميس الحزين » .. وصور الخيبة في «غدا يوم آخر » و « اوهام على الطريق » .. باسلوب رومانسي سفح عليه عواطفه وتباريحه وهواجسه .. حاول ان يغلفه بالواقعية .. معتمدا على تصوير الذكريات الماضية (فلاش باك) ... على ارضية زمنية تتراوح بين الساعات والايام الممتدة حتى الشهور ، مما يقلل من ديناميكية القصة وحرارتها ويترك القارىء غير نادم على اللهث وراء القاص ...

والحقيقة ان المؤلف كان لما عاشه ويعيشه .. صريحا وهذا حسبه .. وتحضرني قولة لاحد الكتاب الفرنسيين : اسلوب الرجل هو الرجل نفسه .. كان اسلوب الوجدان الارق في عالم الى ورث الآلام ... وواقعيته هذه اوقعته في خطأ التكرار العفوي المتعمد من حيث تشابه الظروف في قصتيه « الربيع العائد » و « الخميس الحزين » .. متزوج وأب يركض وراء شابة متزوجة كانت في القديم القديم حبيبته .. وكذلك في قصتيه « غدا يوم آخر » و « اوهام على الطريق » البطلة في هاتين طبيبة .. في الاولى تحب مريضا .. وفي الثانية يحبها انسان ما ولتوكيد التكرار والتشابه : الطبيبة لها اخوان وثلاث اخوات ، وهو كذلك ... فدور الفنان هو مزج الخيال مع الحقيقة : عملية ابداع ... بعبارة اخرى : مزاوجة تدل على براعته وتفوقه ..

وفي تضاعيف الكتاب ما يدلل على ولادة قاص يتمرس في ابداع هذه العجينة السحرية يلزمه انفتاحه على نسائم النقد . ووجود المناخ الملائم .. والزمن المقبل سوف يتكشف عن قاص .. مبدع .. حبذا لو اغترف من غدران ومنابع تجاربه .. اكثر مما في هذا الكتاب ..

ولكننا لم نجد القاص بشير على تماس مباشر مع البسطاء والمتعبين .. فأين هو التعاطف مع الشعب ؟ وله في المعاناة سهم كبير ، اذ كان ضابطا على الحدود مع اسرائيل ، وهو الآن يمارس مهنة المحاماة ؟ وقصة « الفستان الوردي » ـ التي لم يرد ذكرها حتى الآن ـ اشارة تعجب امام القاص ! الفنان يطالب دائما بأن يكتب عما يدور على الحدود وما بعدها ، ويلام ان احجم .. فكيف لمن هو هناك .. يلتفت الى الوراء ليصور قصة حب عادية مع فتاة ارستقراطية .. تخيلها معه في الخيمة والخندق كي تذكي نار الجهاد المقدس !! ولا يستفيد من تجربة وطنية توفرت له كل اسباب نجاحها ..

وعسى ان تجيء قصص « محمد رؤوف بشير » القادمة ضمن لحظة زمنية تجعل القارىء يركض وراء المؤلف دائما .. نحو الاجمل والافضل ايضا .

دمشق — مصطفى احمد النجار

•

فهد العسكر : حياته وشعره

تاليف عبد الله زكريا الانصاري ـ ٣١٠ صفحات ـ حجم كبير ـ المطبعة العصرية بالكويت

للاستاذ عبد الله زكريا الانصاري رئيس تحرير مجلة « البيان » التي تصدرها جمعية ادباء الكويت نشاط ادبي متصل ، وهو احد الادباء البارعين المجيدين الذين عرفتهم محافل الادب والصحافة منذ اكثر من عقدين عندما رأس تحرير مجلة « البعثة » في القاهرة ، وهو في خلال ذلك قد قدم انتاجا ثرا حافلا ، عرض فيه بالنقد لعشرات من المؤلفات ، وتناول فيه كثيرا من قضايا الادب والثقافة والمجتمع العربي فكان في ذلك آية من آيات الانصاف والعدل والقصد ، مع احقاق الحق ، وبلوغ الغاية في قدسية الكلمة وكرامة الرأي ، وهو على ذلك القدر من الصلابة فيما يعتقده ، وهذا التوسط والعمق ، اذا ما لقيته لقيت رجلا حييا عذب البيان ، حسن البادرة ، نقي السريرة ، لا هدف له الا ان يقدم رأيه في اخلاص ، وصدق ، وهو مؤمن صادق الايمان بأمته وقيمها ومفاهيمها ، دائب على اقرارها ، ومدافع عنها .

ولا ننسى مقالاته المتصلة في افتتاحيات البيان منذ صدرت خلال اربع سنوات في مقاومة غزوة التغريب ودعوة الخلط وفساد الرأي مما تلهج به بعض الالسنة او تطوف به بعض الاقلام .

وفي كتابه هذا « فهد العسكر » يتمثل الوفاء والصدق ، فهذا شاعر مجيد ، قضى دون ان يتم عمله الادبي ، وقد امد الله قوة في قلم الانصاري فعرف به ، وجمع شعره ، ونقده واجازه للمرة الثانية في هذا السفر الحافل بعد ان قدمه منذ سنوات في كتاب صغير الحجم ، ولقد شغل الوفاء صاحبنا الانصاري اربعة عشر عاما منذ اصدر كتابه الاول عنه حتى استطاع ان يجمع له هذا العدد الكبير من القصائد والمقطوعات .

وقد عرض الباحث بالترجمة لحياة الباحث ونفسيته وتحدث عن مدرسته الشعرية وعوامل التجديد في شعره ثم ضم الى ذلك ديوانه وما استطاع جمعه منه وقد بلغ اكثر من ١٩٢ صفحة . والكتاب في مجموعه صفحة مشرقة من الادب العربي الكويتي المعاصر .

القاهرة — انور الجندي